

التعليق الأمتع

على

شرح القواعد الأربع

للعامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله

تحقيق وتعليق:

أبي عبد الرحمن

ردمان بن أحمد بن علي الحبوشي

كان الله له في الدارين

فرغ مادة الشرح

الأخ المبارك أبو الحارث

أيمن بن محمد النزيلى حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



التعليق الأمتع على شرح القواعد الأربع



دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

الشيخ عثمان - جولة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد. وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد من الله علي بتدريس كتاب شرح "القواعد الأربع" للعلامة صالح ابن فوزان الفوزان حفظه الله في قرية منزل جوزة، (مديرية ريف إب) وكان ذلك يوم السبت الموافق الثالث من شهر ربيع الآخر لعام (١٤٤١هـ) والتي قد شرح فيها العلامة الفوزان حفظه الله القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ فعلمت على شرح الشيخ الفوزان ارتجالاً، ثم قام الأخ الفاضل المبارك أبو الحارث أيمن بن محمد النزيلي حفظه الله بتفريغ تعليقاتي على الشرح جزاه الله خيراً وبارك الله فيه وفي أهله وماله وولده ثم طلب مني مراجعة ذلك فقمتم بمراجعة ذلك على حسب ما يسره الله، وكان عملي فيه كالتالي:

- * جعلت متن القواعد الأربع كله في مقدمة الرسالة.
- * ثم جعلت بعد ذلك المتن مجزئاً إلى فقرات حسب موضوع الفقرات، وجعلته مميزاً عن شرح العلامة الفوزان في مستطيل، ثم وضعت كلمة (الشرح) بعد المتن، وما كان من شرحٍ لجمال المتن جعلته مميزاً بالخط الأحمر.
- * علقت على ما يحتاج إلى تعليق من كلام العلامة الفوزان حفظه الله.

* ما كان من تعليقات لي على كلام الشيخ الفوزان كان في أسفل الحاشية.
 * خرجت الأحاديث المذكورة في الأصل وفي الشرح، وحكمت على ما كان منها خارج الصحيحين صحة وضعفا.

* ترجمت للمصنف وهو شيخ الإسلام محمد بن الوهاب النجدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** ترجمة مختصرة، وهي مأخوذة من مقدمتي تحقيقي على كتاب التوحيد للمصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وكذلك ترجمت للشارح العلامة الفوزان حفظه الله مستفيدا ذلك من ترجمة تلميذه جمال الحارثي وفقه الله.

وسميته: **(التعليق الأمتع على شرح القواعد الأربع).**

وقبل أن أضع القلم، فإني أشكر بعد شكر الله لمن كان سبباً في تنسيق مادة الكتاب وهو الأخ الفاضل الخلق المبارك أبو بكر نبيل الدروبي، أسأل الله أن يجزيه على ذلك خيراً في الدنيا والآخرة، إنه على كل شيء قدير.
 أسأل الله أن يجعل كل أعمالي خالصة لوجهه الكريم نافعة لي يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه على كل شيء قدير.

وكتب /

أبو عبدالرحمن ردمان بن أحمد بن علي الحبيشي النظاري

في يوم الثلاثاء / ٢٥ / من شهر الله الحرام لعام ١٤٤٤ هـ

اليمن / إب / ت واتس (٧٧٢٧٤٤٣٧٤)

(☆☆☆)

نبذة مختصرة عن شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ

اسمه وكنيته ولقبه :

هو الإمام العلامة المجدد شيخ الإسلام أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي آل محضار الوهبي التميمي .

مولده :

ولد في العيينة من بلاد عارض اليمامة، في وسط الجزيرة العربية، سنة (١١١٥هـ).

نشأته ورحلاته :

نشأ في أحضان أسرة فاضلة، وبين أبوين كريمين، فوالده الأدنى الشيخ عبد الوهاب بن سليمان (ت ١١٥٣هـ) من علماء نجد المعروفين وقضاة العيينة، وجدّه الشيخ سليمان بن علي (ت ١٠٧٩هـ) من المشهورين بالفقه والفتوى، وكذلك عمه الشيخ إبراهيم.

حفظ الشيخ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً من العلم، وكان كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث، وجدّ في طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون.

ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد، وفي مكة، وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية، فقرأ على علمائها، وهكذا رحل إلى البصرة والأحساء.

وقد وهبه الله فهماً ثاقباً، وذكاءً مفرطاً، وأكب على المطالعة والبحث والتأليف، وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث، وكان لا يسأم من الكتابة، وقد خط كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

ولما توفي والده سنة (١١٥٣هـ) أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله، وإنكار المنكر، ويهاجم المبتدعة أهل الأوثان والأصنام، وقد شد من أزره الولاة من آل سعود، وقويت شوكته وذاع خبره.

شيوخه :

كثير، منهم:

- ١- والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان.
- ٢- عبدالله بن إبراهيم بن سيف.
- ٣- محمد حياة السندي، (ت ١١٦٥هـ).
- ٤- محمد المجموعي البصري.
- ٥- الشيخ المسند عبدالله بن سالم البصري، (ت ١١٣٤هـ).

تلاميذه :

كثير، منهم:

- ١- الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، (ت ١٢١٨هـ).
- ٢- الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد، (ت ١٢٢٩هـ).
- ٣- أولاده وهم: حسين (ت ١٢٢٤هـ)، وعلي (ت ١٢٤٥هـ)، وعبدالله (ت ١٢٤٣هـ)، وإبراهيم.

٤- حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن، مؤلف فتح المجيد.

٥- حمد بن ناصر بن مَعْمَر، (ت ١٢٢٥هـ).

٦- عبدالعزيز بن عبدالله بن الحصين، (ت ١٢٣٧هـ).

٧- الشيخ حسين بن غنّام، (ت ١٢٢٥هـ).

عقيدته :

ما كانت عقيدته إلا عقيدة السلف الصالح من هذه الأمة، الذين تمسكوا بالكتاب والسنة، وفهموها دون عوج ولا زيغ ولا انحراف، فما كان صوفيًّا، ولا مبتدعًا، ولم يأت بمذهب جديد قط، بل هو متبع لكتاب الله وسنة رسوله. ^(١)

مذهبه :

في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، هذا ما قرره أهل العلم. ^(٢)

شيء من ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى عليه العلماء وأشادوا بذكره، من ذلك :

١ - قال عنه الشوكاني في معرض حديثه عن بعض رسائله: وهي رسائل جيدة، مشحونة بأدلة الكتاب والسنة، تدل على أن المجيب من العلماء المحققين، العارفين بالكتاب والسنة. ^(٣)

(١) انظر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شرح الشيخ صالح الفوزان، في مجلد طبعة مكتبة دار المنهاج.

(٢) انظر إعانة المستفيد (١/١٠)، والمدخل (٤٤٧)، والبدر الطالع.

(٣) انظر البدر الطالع ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة.

٢- وقال عنه العلامة ابن بدران: العالم الأثري الإمام الكبير، برع في مذهب الإمام أحمد، وأخذ ينصر الحق ويحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين.^(١)

٣- ومدحه العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في قصيدة طويلة، كتبها سنة (١١٦٣هـ) ومطلعها:

سلام على نجدٍ ومن حل في نجد	وإن كان تسليمي على البُعد لا يُجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقا الحيا	رُباهَا وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت	ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد

إلى أن قال:

وقد جاءت الأخبارُ عنه بأنه	يُعيد لنا الشرعَ الشريفَ بما يُبدي
وينشر جهراً ما طوى كلُّ جاهلٍ	ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمرُّ أركانَ الشريعة هادماً	مشاهد ضلَّ الناس فيها من الرُّشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وودَّ بسُّ ذلك من ودَّ

٤- قال عنه الشيخ ابن باز **رَحِمَهُ اللهُ**: إنه رجل عظيم، ومصلح كبير، وداعية غيور، شيخ الإسلام، المجدد للإسلام في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر من الهجرة.^(٢)

(١) انظر المدخل (٤٤٧).

(٢) انظر رسالة الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، ضمن فتاوى ومقالات متنوعة (١/٣٥٤-٣٥٧).

- ٥- وقال عنه الشيخ ابن عثيمين : الإمام شيخ الإسلام المجدد.^(١)
- ٦- وقال عنه الشيخ الألباني : الإمام المجدد لدعوة التوحيد في الجزيرة العربية.^(٢)
- ٧- وقال عنه الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: الإمام العلامة المجاهد الصابر الداعي إلى الله على بصيرة المجدد لدين الله في القرن الثاني عشر.^(٣)
- ٨- وقال عنه شيخنا مقبل الوادعي : شيخ عالم جليل، من علماء القرن الثاني عشر، أثنى عليه علماء الإسلام، يصيب ويخطئ، ويجهل ويعلم، دعوته دعوة مباركة، نفع الله بدعوته الإسلام والمسلمين.
- وقال : رجل مصلح افترى عليه.^(٤)
- ٩- وقال عنه شيخنا أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: العلامة المجدد.^(٥)
- ١٠- وقالت عنه (اللجنة الدائمة): من أكبر الدعاة إلى السلفية، والعقيدة السليمة، والمنهج القويم، وكتبه حافلة بذلك.^(٦)

(١) انظر مقدمة شرح الأصول الثلاثة ضمن مجموع وفتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/١).

(٢) انظر الصحيحة (٣٠٥/٥).

(٣) انظر إعانة المستفيد (٨/١).

(٤) انظر كتاب مقتل الشيخ جميل الرحمن (٧٥، ٨٠، ٨٤، ٨٧).

(٥) مقدمة تحفة المستفيد ص (٥).

(٦) فتاوى اللجنة (٢٥٩/٢).

١١ - وقال عنه الشيخ محمد بن سالم البيحاني رَحِمَهُ اللهُ : محمد بن عبد الوهاب داعية الخير والتوحيد (١).

مؤلفاته :

كثيرة جداً، طبع أكثرها في مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منها:

- ١ - كتاب التوحيد، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.
 - ٢ - أصول الإيمان.
 - ٣ - كشف الشبهات.
 - ٤ - ثلاثة الأصول.
 - ٥ - مختصر السيرة.
 - ٦ - مختصر فتح الباري، مخطوط.
 - ٧ - مختصر زاد المعاد.
 - ٨ - مسائل الجاهلية.
 - ٩ - فضائل الصلاة.
 - ١٠ - كتاب الاستنباط.
 - ١١ - أدب المشي إلى الصلاة.
 - ١٢ - مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، أو شرح حديث عمرو بن عبسة.
 - ١٣ - القواعد الأربع وهي رسالتنا هذه.
- وغير ذلك من المؤلفات.

(١) زوبعة في قارورة (ص ٨).

وفاته رَحِمَهُ اللهُ:

مات رَحِمَهُ اللهُ تعالى وطيب ثراه في أواخر سنة (١٢٠٦هـ)، وعمره (٩١) سنة قضاها في ميدان العلم والجهاد والدعوة، ودُفن بمقبرة الدرعية شمال البلدة القديمة، فرحمة الله علينا وعلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي وعلى جميع مشايخنا وإخواننا ووالدينا وذرياتنا.

ولله دُرُّ القائل:

وما نحن إلا ركبٌ موت إلى البلى	تسيرُ بنا أيامنا كرواحلٍ
قطعنا إلى نحو القبور مراحلاً	وما بقيت إلا أقل المراحِلِ
وهذا سبيلُ العالمين جميعهم	فما الناس إلا راحلٌ بعد راحلٍ ^(١)

(☆☆☆)

(١) مصادر ترجمة المؤلف كثيرة، فمنهم من أفردته بترجمة خاصة في كتب خاصة، منها:

- ١ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لحسين خلف خزعول.
 - ٢ - كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، للشيخ ابن باز.
- وكتب عنه وعن منهجه وعقيدته كتب ورسائل مستقلة، منها كتاب الشيخ صالح العبود عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهناك كتابات متفرقة عنه.

✳ انظرها في روضة الأفكار والأفهام لتلميذه حسين بن غنام (٣٦/١)، وعنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر (١٨١/١)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن القاسم (٢١٥/٩)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٣٥٠/٦)، والأعلام للزركلي (٢٥٧/٦)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٢٦٩/١٠)، والموسوعة الميسرة (١٦٤-١٧٢).

ترجمة العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله

بقلم تلميذه جمال بن فريحان الحارثي، من مقدمته على كتاب الأجوبةُ
المُفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة.

قال : اسمه ونسبه ومولده :

هو: صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان.
من أهل الشماسية الوداعين من قبيلة الدواسر.
ولد عام (١٣٥٤هـ).

نشأته وتعليمه :

توفي والده وهو صغير، فترَبَّى في أسرته، وتعلم القرآن الكريم وتعلم مبادئ
القراءة والكتابة على يد إمام مسجد البلد.

ثمَّ التحق بمدرسة الحكومة في بلده حين افتتاحها في الشماسية عام:
(١٣٦٩هـ) وأكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام:
(١٣٧١هـ).

ثم التحق بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحه عام (١٣٧٣هـ)، وتخرج منه
عام: (١٣٧٧هـ)، والتحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج منها عام:
(١٣٨١هـ).

الدراسات العليا:

نال درجة الماجستير في الفقه.

نال درجة الدكتوراه في الفقه أيضاً وكلاهما من كلية الشريعة.

المناصب التي تولاهما وبعض أعماله:

تعين مدرساً في الابتدائي عام (١٣٧٢هـ) قبل التحاقه بالمعهد العلمي ببريدة.

عين مدرساً في المعهد العلمي في الرياض بعد تخرجه من كلية الشريعة.
ثم مدرساً في كلية الشريعة، ثم في الدراسات العليا بكلية أصول الدين.
ثم في المعهد العالي للقضاء ثم عين مديراً للمعهد العالي للقضاء في عام (١٣٩٦هـ).

ثم عاد للتدريس فيه مرة أخرى بعد انتهاء فترة الإدارة النظامية.
ثم عين في هيئة كبار العلماء في عام (١٤٠٧هـ).
ثم عين عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في عام (١٤١١هـ).

كما أنه لا يزال عضواً في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

وكان عضواً في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج سابقاً.

وهو إمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز في المنزل في الرياض.

ويشارك في الإجابة في برنامج " نور على الدرب " في الإذاعة السعودية كما له مشاركات منتظمة في المجلات العلمية على هيئة بحوث ودراسات ورسائل وفتاوى أيضاً.

كما أنه - حفظه الله - يشرف على الكثير من الرسائل العلمية في درجتي الماجستير والدكتوراه، وتتلמד على يديه العديد من طلبة العلم الذين يرتادون مجالسه ودروسه العلمية المستمرة، وأنا واحد منهم. - ولي الفخر والاعتزاز بذلك - " جمال " .

مشائخه :

تتلמד فضيلته على أيدي عدد من العلماء والقضاة البارزين ومن أشهرهم سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رَحِمَهُ اللهُ - وقد كان سماحته يُحِل شيخنا ويقدره ويثق به في المهمات وقد كان يحيل إليه بعض الكتب المؤلفة لمراجعتها وإبداء رأيه فيها.

ومن شيوخه أيضاً: الشيخ/ عبد الله بن حميد - رَحِمَهُ اللهُ - حيث كان يحضر كثيراً من دروسه في جامع بريدة يوم كان طالباً في المعهد العلمي.

وفضيلة الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ - .

والشيخ عبد الرزاق عفيفي - رَحِمَهُ اللهُ - . والشيخ حمود بن سليمان التلال الذي كان إمام المسجد بالبلدة التي نشأ بها شيخنا - يحفظه الله - وقد تولى

القضاء بعد ذلك - أعني الشيخ حمود - في بلدة ضرية في منطقة القصيم. وقد تعلم على يده مبادئ القراءة والكتابة ثم تعلم على يد الشيخ/إبراهيم بن ضيف الله اليوسف يوم أن كان مدرساً في مدرسة الشاسية.

مؤلفاته :

للشيخ - يحفظه الله - العديد من المؤلفات أبرزها:

- ١- التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية في المواريث، وهو رسالته في الماجستير، (مجلد).
- ٢- أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية، وهو رسالته في الدكتوراه، (مجلد).
- ٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، (مجلد).
- ٤- شرح العقيدة الواسطية، (مجلد).
- ٥- البيان فيما أخطأ فيه بعض الكتاب، (مجلدان).
- ٦- مجموع محاضرات في العقيدة والدعوة، (أربعة مجلدات).
- ٧- الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، (ستة مجلدات).
- ٨- من أعلام المجددين في الإسلام.
- ٩- مباحث فقهية في مواضيع مختلفة.
- ١٠- مجموع فتاوى في العقيدة والفقه (خمسة مجلدات).
- ١١- نقد كتاب الحلال والحرام في الإسلام، رد على يوسف القرضاوي.
- ١٢- الملخص في شرح كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب شرح

مدرسي.

- ١٣ - إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد وهو شرح موسع في مجلدين.
- ١٤ - التعقيب على ما ذكره الخطيب في حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- ١٥ - الملخص الفقهي (مجلدان).
- ١٦ - إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان.
- ١٧ - الضياء اللامع مع الأحاديث القدسية الجوامع.
- ١٨ - بيان ما يفعله الحاج والمعتمر.
- ١٩ - كتاب عقيدة التوحيد - وأصله مقرر في المرحلة الثانوية بوزارة المعارف.
- ٢٠ - فتاوى ومقالات نشرت في مجلة الدعوة.
- ٢١ - دروس من القرآن الكريم.
- ٢٢ - الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة - وله غير ما ذكر من الكتب بعضه تحت الطبع.
- وقد كان له دور كبير في توجيه الشباب وتحذيرهم من التيارات المنحرفة عن المنهج الصحيح، فانقمع به المبتدع والضال، ووفق الكثير للهداية إلى الحق والصواب، فجزاه الله - عنا وعن المسلمين - خير الجزاء وجعل أعماله خالصة لوجهه الكريم وأن تكون في ميزان حسناته يوم الدين.
- والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

متن القواعد الأربع

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ: أَنْ يَتَوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ
يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا
أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ:

أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ:

فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى
صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَّارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشُّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدِيثِ إِذَا دَخَلَ فِي
الطَّهَّارَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشُّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ،
وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ
اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

القاعدة الأولى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

القاعدة الثانية:

أَنْهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَذَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَذَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].
وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةُ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةُ مُثَبَّتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمُنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].
وَالشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ.

وَالشَّافِعُ مُكْرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ
الِإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

القاعدة الثالثة:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أَنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ؛
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا
لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ فُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ..)، الْحَدِيثُ.

القاعدة الرابعة:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شُرَكَاءَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشَّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شُرَكَهُمُ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ؛ وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

*** نَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ ***

(☆☆☆)

شرح الرسالة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ: أَنْ يَتَوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ
يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ،
وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ. ^(١)

الشرح:

هذه "القواعد الأربع" التي ألفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.
وهي رسالة مستقلة، ولكنها تُطبع مع "ثلاثة الأصول" من أجل الحاجة
إليها لتكون في متناول أيدي طلبة العلم.
والقواعد: جمع قاعدة، والقاعدة هي: الأصل الذي يتفرع عنه مسائل كثيرة
أو فروع كثيرة.
ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: معرفة التوحيد
ومعرفة الشرك.

وما هي القاعدة في التوحيد؟ وما هي القاعدة في الشرك؟ ^(١)؛ لأن كثيراً من
الناس يتخبطون في هذين الأمرين، يتخبطون في معنى التوحيد ما هو؟
ويتخبطون في معنى الشرك، كلٌّ يفسرهما على حسب هواه.

(١) هذا متن القواعد الأربع وقد ميزته باللون الأحمر.

ولكن الواجب: أننا نرجع في تقعيدنا إلى الكتاب والسنة، ليكون هذا التقعيد تقعيداً صحيحاً سليماً مأخوذاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا سيما في هذين الأمرين العظيمين - التوحيد والشرك -.

والشيخ رحمه الله لم يذكر هذه القواعد من عنده أو من فكره كما يفعل ذلك كثير من المتخبطين، وإنما أخذ هذه القواعد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ وسيرته.

فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهّل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، ومعرفة الشرك الذي حذر الله منه وبيّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة. وهذا أمرٌ مهمٌ جداً، وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر الأمور الدينية، لأن هذا هو الأمر الأولي والأساس^(٢)، لأن الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصحّ إذا لم تُبن على أصل العقيدة الصحيحة، وهي التوحيد الخالص لله عزّ وجل.

=

(١) يعني ما هو الأصل في التوحيد وما هو الأصل في الشرك.

(٢) أي: معرفة التوحيد ومعرفة الشرك، هذا أهم الأمور إذا صلح التوحيد تصلح الأعمال، وإذا لم يصلح فسدت الأعمال.

وقد قدّم رَحِمَهُ اللهُ هذه القواعد الأربع بمقدمة عظيمة فيها الدعاء لطلبة العلم، والتنبية على ما سيقوله^(١)، حيث قال: (أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ الكَرِيمِ أَنْ يَتَوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يُجْعَلَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ)^(٢).
وَأَنْ يُجْعَلَ كَمَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ^(٣).

(١) أي: المؤلف الشيخ النجدي، يعني: هذه القواعد الأربع بدأها المؤلف بالدعاء لطلاب العلم وهذا من شفقة أهل العلم ومن شفقة من أراد النصح للمسلمين أنه يدعو لهم فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ بدأ كتابه القواعد الأربع بالدعاء لطلاب العلم ولطلبة العلم، وهكذا كثيرا من كتبه بدأها بالدعاء لطلاب العلم.
(٢) الدعاء لطلاب العلم بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة، ومن تولاه الله في الدنيا والآخرة فإنه يأمن من المخاوف في الدارين، يأمن بإذن الله قال الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿إِنَّ وَلِيَِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فهنا دعا المؤلف لطلاب العلم بأن الله يتولاه في الدنيا والآخرة، دعاء لطلاب العلم بالبركة أينما كان، وتكون بركة الطالب حيثما نزل ينفع الله به العباد والبلاد، فهو كالغيث حيثما أصاب نفع، دعاء بالبركة لطلاب العلم، أن يجعله الله مباركا حيثما نزل وحيثما حل ينفع الله عز وجل به الإسلام والمسلمين.

(٣) هذه الثلاثة عنوان السعادة إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر لماذا عنوان السعادة؟

لأنه لا ينفك الإنسان عن حال من هذه الأحوال إما أن يعطى يعطيه الله عز وجل نعمة كثيرة فالواجب عليه أن يشكر فإذا شكر فقد قام بوظيفة الوقت وإما أن يبتلى يبتليه الله عز وجل بالفقر والأمراض والأسقام والأوجاع والأعداء والمصائب والبلايا والرزايا فالواجب عليه أن يصبر، وإذا قام بذلك فقد قام بوظيفة الوقت واستغل الوقت، إذا ابتلي يصبر، وإما إن يخطئ الصبر أو الشكر سيقع في الذنب، إذا

الشرح:

هذه مقدمة عظيمة، فيها دعاء من الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** لكل طالب علم يتعلم عقيدته يريد بذلك الحق، ويريد بذلك تجنب الضلال والشرك، فإنه حريٌّ بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة.

وإذا تولاه الله في الدنيا والآخرة فإنه لا سبيل إلى المكاره أن تصل إليه، لا في دينه ولا في دنياه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فإذا تولّاك الله أخرجك من الظلمات ظلمات الشرك والكفر والشكوك والإلحاد، إلى نور الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، فإذا تولاك الله برعايته وبتوفيقه وهدايته في الدنيا والآخرة؛ فإنك تسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً، في

لم يصبر على البلاء وإذا لم يشكر الله عز وجل على العطاء فقد يقع في الذنب، يقع في الذنب، وإذا وقع في الذنب فالواجب في هذه الحالة الاستغفار، فمن كانت حاله شكراً عند العطاء، وصبراً عند البلاء واستغفاراً عند الذنب، والخطأ فقد حاز أسباب الفلاح والسعادة، إذن فهذا هو معنى كلام المؤلف الله ودعائه لطالب العلم بقوله: [وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ].

الذي يريد السعادة الذي يريد الفلاح الذي يريد الفوز في الدنيا والآخرة سواء كان ذكراً أو أنثى عليه أن يقوم بهذه العبادات العظيمة، إذا أعطاه الله يشكر الله على ذلك، وإذا ابتلاه الله يصبر على البلاء، وإذا أذنب وقع في الذنب يستغفر ويتوب إلى الله، ويعود إلى الله من ذلك الذنب، ولهذا قال المؤلف هذه الكلمات [فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثُ هِيَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ].

الدنيا يتولّاك بالهداية والتوفيق والسير على المنهج السليم، وفي الآخرة يتولّاك بأن يُدخلك جنته خالداً مخلّداً فيها لا خوف ولا مرض ولا شقاء ولا كرب ولا مكاره، هذه ولاية الله لعبده المؤمن في الدنيا والآخرة

قال: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيَّنَمَا كُنْتَ) إذا جعلك الله مباركاً أينما كنت فهذا هو غاية المطالب، يجعل الله البركة في عمرك، ويجعل البركة في رزقك، ويجعل البركة في علمك، ويجعل البركة في عملك، ويجعل البركة في ذريتك، أينما كنت تصاحبك البركة، أينما توجّهت، وهذا خيرٌ عظيم، وفضلٌ من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
قال: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ) خلاف الذي إذا أُعطي كفر النعمة وبطّرها^(١)، فإن كثيراً من الناس إذا أعطوا النعمة كفروها وأنكروها، وصرفوها في غير طاعة الله عز وجل، فصارت سبباً لشقاوتهم، أما من يشكر فإن الله يزيده: ﴿وَإِذَا تَادَدَنَ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

والله -جل وعلا- يزيّد الشاكرين من فضله وإحسانه. فإذا أردت المزيد من النعم فاشكر الله عز وجل، وإذا أردت زوال النعم فاكفّرها^(٢).

(١) بعض الناس الله جل وعلا يعطيه النعم، ولكنه يكفر بها، ويبطر بالنعمة ولا يشكر نعمة الله عليه فهذا غير موفق، بل ذلك يعتبر من خذلان الله له نسأل الله السلامة والعافية.
(٢) المعاصي سبب عظيم لزوال النعم، قال الله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

قال: (وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا)، الله جل وعلا يبتلي العباد، يبتليهم بالمصائب، ويبتليهم بالمكاره، يبتليهم بالأعداء من الكفار والمنافقين؛ فيحتاجون إلى الصبر وعدم اليأس وعدم القنوط من رحمة الله، ويثبتون على دينهم، ولا يتزحزون مع الفتن، أو يستسلمون للفتن، بل يثبتون على دينهم ويصبرون على ما يقاسون من الأتعاب في سبيلها بخلاف الذي إذا ابتلي جزع وتسخط وقنط من رحمة الله عز وجل - فهذا يُزاد ابتلاءً إلى ابتلاء ومصائب إلى مصائب، قال: **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخَطَ فَعَلَيْهِ السَّخَطُ»^(١)، «وأعظم الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»^(٢).

وقال الله عز وجل: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].
عاقبهم الله عز وجل بسبب كفرهم وبغيهم، وظلمهم وعدم شكرهم لنعمة الله، أذهب الله عنهم النعم.
(١) هذا حديث: (صحيح بشواهده) من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبخاري (٢٤٥/٥)، وفي سنده سنان بن سعد الكندي ضعيف يعتبر به، ومتن الحديث له شواهد يصح بها، منها:

- ١ - حديث محمود بن لبيد مرفوعاً: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ». أخرجه أحمد (٤٢٧/٥، ٤٢٨) وإسناده جيد. ومن الشواهد له:
- ٢ - حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل». أخرجه أحمد (١٧٤/١، ١٧٣، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٥) وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الصحيحة رقم (١٤٣)، وشيخنا مقبل الوادعي في الصحيح المسند (٣٢٠/١).
- (٢) هذه إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٧٤/١، ١٧٣، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٥) وصححه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الصحيحة رقم (١٤٣).

ابتلي الرسل، وابتلي الصديقون، وابتلي الشهداء، وابتلي عباد الله المؤمنون، لكنهم صبروا، أما المنافق فقد قال الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ يعني: طرف، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فالدنيا ليست دائماً نعيماً وترفاً وملذات وسروراً ونصراً، ليست دائماً هكذا^(١)، الله يداولها بين العباد، الصحابة أفضل الأمة ماذا جرى عليهم من

وشيخنا مقبل الوادعي في الصحيح المسند (٣٢٠/١). ولفظه أن سعدا قال: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: فَقَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَلَا مَثَلَ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَبْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

(١) يعني ما تدوم الدنيا على حال، لا على الترف ولا على الملذات ولا على السرور ولا على النصر، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا اهـ

وما أحسن ما قيل:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ	فَلَا يُغَرَّرُ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوُلُ	مَنْ سَرَّهُ زَمَنُ سَاءَ ثُمَّ أَرْمَانَ
وَعَالَمُ الْكَوْنِ لَا تَبْقَى مُحَاسِنُهُ	وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلُّ سَابِغَةٍ	إِذَا تَبَتَّ مَشْرِفِيَاتُ وَخِرْصَانُ
وَيُسْقَى كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ	كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْغَمْدُ غِمْدَانُ

الابتلاء والامتحان؟ قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فليوطن العبد نفسه أنه إذا ابتلي فإن هذا ليس خاصاً به، فهذا سبق

أين الملوكُ ذُوقوا التَّيجانَ مِنْ يَمَنِ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ مَنْ إِرَمِ
وَأَيْنَ مَا حَارَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ
كَأَنَّا الصَّعْبَ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ
وَلِلْمَصَائِبِ سُلُوكٌ يَهْوِيهَا
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَازْتَرَأَتْ
فَأَسْأَلُ بِلَنِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ
وَأَيْنَ حِمِصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْوِ
كَذَا طَلَيْطَلَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ
وَأَيْنَ غَرْنَاطَةٌ دَارُ الْجِهَادِ وَكَمْ

وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيْنَ عَادَ وَشَدَادُ وَقَحْطَانُ
حَتَّى قَضَوْا فَكَانَ الْكُلُّ مَا كَانُوا
كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطِّيفِ وَشَنُكُ
وَأَمَّ كَسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَمَا لَنَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلوَانُ
هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَابْتَدَأَ تَهْلَانُ
حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبِلْدَانُ
وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَانُ
وَتَهْرُهَا الْعَذْبُ قِيَاصُ وَمَلَانُ
مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَّا فِيهَا لَهُ شَانُ
أَسَدِيهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ

لأولياء الله، فيوطن نفسه ويصبر^(١) وينتظر الفرج من الله تعالى، والعاقبة للمتقين.

قال: (وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ)، أما الذي إذا أذنب لا يستغفر ويستزيد من الذنوب فهذا شقي -والعياذ بالله-، لكن العبد المؤمن كلما صدر منه ذنب بادر بالتوبة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧].^(٢)

(١) لا بد عند الابتلاء من الصبر على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله، وكما يقال: «من صبر ظفر والنصر صبر ساعة» فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (والنصر مع الصبر) فهذه الدنيا متاعها قليل، وما من شخص إلا وهو مبتلى، إما في نفسه أو في ماله أو في ولده، يبتلي الله عز وجل المؤمنين، قال الله: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، وقال الله تعالى: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت ١-٣]. والآيات في الباب كثيرة.

(٢) العبد المؤمن إن وقع في الذنب، فإنه يتوب لا يؤخر التوبة، فإن العبد إذا أخر التوبة يقسو قلبه ويزداد إغراضه وشقاؤه، فقد أخرج أحمد من حديث ع أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَغْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

والجهالة ليس معناها عدم العلم، لأن الجاهل لا يؤاخذ، لكن الجهالة هنا هي ضد الحلم، فكل من عصى الله فهو جاهل بمعنى ناقص الحلم وناقص العقلية وناقص الإنسانية، وقد يكون عالماً لكنه جاهل من ناحية أخرى، من ناحية أنه ليس عنده حلم ولا ثبات في الأمور، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، يعني: كلما أذنبوا استغفروا، ما هناك أحد معصوم من الذنوب، ولكن الحمد لله أن الله فتح باب التوبة، فعلى العبد إذا أذنب أن يبادر بالتوبة، لكن إذا لم يتب ولم يستغفر فهذه علامة الشقاء. وقد يقنط من رحمة الله ويأتيه الشيطان ويقول له: ليس لك توبة.

ومعنى (صُقِلَ قَلْبُهُ): عَلَى بِنَاءِ الْمُجْهُولِ أَيُّ: تَطَفَّ وَصَفَى مِرَاةً قَلْبِهِ لِتَجَلِّيَاتِ رَبِّهِ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمُصْقَلَةِ تَمْحُو وَسَخَ الْقَلْبِ وَسَوَادَهُ حَقِيقِيًّا أَوْ تَمَثِيلِيًّا. وَأَعْرَبَ ابْنُ حَجَرٍ حَيْثُ قَالَ: وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ بِلَا شَكٍّ. (وَأِنْ زَادَ) أَيُّ: الذَّنْبِ أَيُّ: بَعِيْنِهِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ (زَادَتْ) أَيُّ: التُّكْتُ السَّوْدَاءُ أَوْ يَطْهَرُ لِكُلِّ ذَنْبٍ تُكْتَبُ (حَتَّى تَعْلُو) أَيُّ: التُّكْتُ (قَلْبُهُ) أَيُّ: تُطْفِئُ نُورَ قَلْبِهِ فَتُعْمِي بَصِيرَتَهُ، فَلَا يُبْصِرُ شَيْئًا مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْحِكَمِ الرَّائِعَةِ، وَتَزُولُ عَنْهُ الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأُمَّةِ، وَيَثْبُتُ فِي قَلْبِهِ آثَارُ الظُّلْمَةِ وَالْفِتْنَةِ وَالْجَرَاءَةِ عَلَى الْأَذِيَّةِ وَالْمُعْصِيَةِ (فَذَلِكُمُ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى) أَيُّ: فِي كِتَابِهِ (كَلَّا) أَيُّ: حَقًّا (بَلْ رَأَى) أَيُّ: غَلَبَ وَاسْتَوَلَى (عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أَيُّ: مِنَ الذُّنُوبِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهَا خَيْرٌ قَطُّ. قِيلَ: الْخُطَابُ لِلصَّحَابَةِ. أَيُّ: فَذَلِكُمُ الْأَثَرُ الْمُسْتَفْبِحُ الْمُسْتَعْلِي،... وَالرَّأْيُ: بِمَعْنَى الرَّيْنِ وَهُوَ الطَّبْعُ وَالتَّغْطِيَةُ.

قَالَ الطَّبَيْيُّ: الرَّأْيُ وَالرَّيْنُ سَوَاءٌ كَالْعَابِ وَالْعَيْبِ، وَالْآيَةُ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا أَنَّ الْمُؤْمِنَ بَارِئًا مِنَ الذَّنْبِ يُشَبِّهُهُمْ فِي اسْوَدَادِ الْقَلْبِ، وَيَزَادُ ذَلِكَ بَارِئًا مِنَ الذَّنْبِ. قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ: هَذِهِ الْآيَةُ مَذْكُورَةٌ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ، لَكِنْ ذَكَرَهَا ﷺ تَحْوِيْفًا لِلْمُؤْمِنِينَ كَيْ يَخْتَرِزُوا عَنْ كَثْرَةِ الذَّنْبِ كَيْلًا تَسْوَدَ قُلُوبُهُمْ كَمَا اسْوَدَّتْ قُلُوبُ الْكُفَّارِ، وَلِذَا قِيلَ: الْمُعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ. انتهى من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦٢٣/٤).

هذه الأمور الثلاث: إذا أُعطي شكر، وإذا ابْتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر هي عنوان السعادة، من وُفق لها نال السعادة، ومن حُرِم منها - أو من بعضها - فإنه شقي.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِبَطَاعَتِهِ:
أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الشرح:

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِبَطَاعَتِهِ) هذا دعاء من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وهكذا ينبغي للمعلم أن يدعو للمتعلم^(١) وطاعة الله معناها: امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(١) ينبغي للمعلم أن يدعو للمتعلم فهنا دعا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ لطالب العلم بأن يرشده الله ويهديه إلى الرشد والصواب، وهكذا في كثير من كتب المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يدعو للطالب كما في تقدم معنا في الثلاثة الأصول "اعلم رحمك الله" تارة يدعو له بالرحمة وتارة يدعو له بأن يرشده الله للطاعة وهذا من رحمة وشفقة المؤلف بطالب العلم، فينبغي أن يتأسى بأهل العلم في ذلك.

قوله : (**أَنَّ الْخَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ**)^(١) ، الله - جل وعلا - أمر نبينا باتباع ملة إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣] .

(١) اعلم أرشدك الله لطاعته ، أن الخنيفية ملة وهذا لا إشكال فيه ، فإن الله جل وعلا وصف إبراهيم بالخنيفية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] . والحنيف هو : المائل عن الشرك إلى الهدى ، وأصل الحنف هو : الميل من الضلالة إلى الهدى ، فمن رغب في الحنفي وهي الاستقامة على الصراط المستقيم فليلزم ملة إبراهيم . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاةٍ نَفْسُهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

أي : خسرها ، ولم يكسب شيئا فلهذا يقول الشيخ النجدي في كتابه القواعد الأربع : [اعلم - أرشدك الله لطاعته - : أن الخنيفية ملة إبراهيم] والخنيفية هي : التوحيد والاستقامة على الصراط المستقيم وكما تقدم الميل عن الشرك إلى الهدى ، ولهذا فسرهما المؤلف هنا بقوله : أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين ، هذه هي الخنيفية ، أن تعبد الله مخلصا له الدين وهذا يشمل كل عبادة قولية أو فعلية أو قلبية ، واجبة أو مستحبة ، فيجب أن تكون العبادة بجميع أنواعها وأقسامها لله وحده لا شريك له ، تكون كلها لله لوجه الله والمخلص هو : الذي خلص عبادته من أوغال الشرك ولوثات الوثنية ، بأن يخلص في قلبه بإرادة الله ، يخلص في قلبه أنه يريد بهذا العمل وجه الله لا يريد به سمعة ولا رياء ولا ثناء ولا مدحا إنما يعمل الشيء لعمل العبادة لله ومن أجل الله ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا ، وأبتغي به وجهه وأن يتبع النبي ﷺ في عمله وسيره هذا هو الإخلاص ، أن يقصد بالعمل وجه الله ، وحده لا شريك له ، وموافقة سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، فإذا تحقق له هذان الأمران فقد تحقق له وصف الخنيفية .

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الدليل على ذلك ، فقال كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وهذه الكريمة فيها بيان أن هذه الخنيفية التي كان عليها إبراهيم هي الغاية من الخلق وهي المقصودة من الوجود : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فإنه يخبر أنه أوجد الجن والإنس من أجل العبادة والتوحيد من أجل الطاعة، فلم يخلقنا الله جل وعلا من أجل المأكَل والمشرب والمنكح، إنما خلقنا لأمر عظيم وحكمة مقصودة وهي العبادة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

فمن أطاع الله جل وعلا جازاه أتم الجزاء، ومن عصى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عذبه أشد العذاب، وهنا سؤال وهو لماذا قدم ذكر الجن على الأنس في الآية؟ مع أن الإنس أشرف من الجن.

والجواب عن ذلك كما قال العلماء هناك جوابان الأول: السر في ذلك أن الجن مما تتعلق بهم قلوب المشركين ولذلك قدم ذكر الجن لبيان أن المعبودين هم ممن خلقوا للعبادة وطولبوا بها كغيرهم من المخلوقين من الإنس، يعني قدم ذكر الجن في الآية السبب أن المشركين كانوا يتعلقون بالجن، في ذلك الزمان، فإنه يخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة، وهذه الآية وإن كانت في حق مشركي مكة خاصة فهي أيضا عامة، فليس الكلام عن مشركي مكة خاصة بل حتى الذين يتعلقون بالجن في زماننا هذا، بدعائهم والاستغاثة بهم، وطلب الفرج منهم، كل هؤلاء تعلقت قلوبهم بمن يجب عليهم أن يكونوا عبادا لله، بأن يوحده سبحانه بالعبادة، أيضا حتى في زماننا هذا نجد كثيرا من الناس يتعلق بالجن فيدعوهم إما أن يقول يا جني أو نحو ذلك هذا شرك لأنه دعا الجن وإما أن يستغيث بهم أو يستنصر بهم أو يعبدهم أو يصرف لهم شيئا من العبادة، فلذلك هؤلاء الجن الذين يعبدون من دون الله هم أنفسهم خلقوا للعبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذا هو المعنى الأول، الذي ذكره بعض أهل العلم، أن السر في ذكر الجن في الآية قبل الإنس وذلك لأن قلوب المشركين كانت متعلقة بالجن، فأراد الله أن يبين أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم أنفسهم خلق للعبادة.

القول الثاني: أو أن السبب الثاني في تقديم ذكر الجن في الآية على الإنس أن الجن خلقت قبل الإنس، فلما كانوا قد خلقوا قبل الإنس بين أنه من أول خلقهم إنما أريد من خلقهم العبادة، لخالقهم جل وعلا، إذ لو لم يرد من خلقهم العبادة لكان خلقهم عبثا، والله منزّه عن العبث، الجن خلقهم قبل الإنس، وإذا كانوا خلقوا قبل الإنس فهم أيضا خلقوا للعبادة، ليس من أجل أن يعبدوا إنما من أجل أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، فلهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الحنيفية: ملة الحنيف وهو ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، والحنيف هو: المقبل على الله المعرض عما سواه، هذا هو الحنيف: المقبل على الله بقلبه وأعماله ونياته ومقاصده كلها لله، المعرض عما سواه، والله أمرنا باتباع ملة إبراهيم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]. وملة إبراهيم: "أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين"، هذه الحنيفية، ما قال: "أن تعبد الله" فقط، بل قال: "مخلصاً له الدين" يعني: وتجتنب الشرك، لأن العبادة إذا خالطها الشرك بطلت، فلا تكون عبادة إلا إذا كانت سالمة من الشرك الأكبر والأصغر" كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، جمع حنيف، وهو: المخلص لله عز وجل.

وهذه العبادة أمر الله بها جميع الخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى يعبدون: يفرّدوني بالعبادة، فالحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون الله عز وجل مخلصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل، لكن الحكمة من خلقهم هي هذه، فالذي يعبد غير الله مخالف للحكمة من خلق الخلق، ومخالف للأمر والشرع وإبراهيم هو: أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فكلهم من ذريته، ولهذا قال - جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فكلهم من بني إسرائيل - حفيد إبراهيم عليه السلام، إلا محمداً ﷺ فإنه من ذرية إسماعيل، فكل الأنبياء من أبناء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، تكريماً له.

وجعله الله إماماً للناس -يعني: قدوة -:

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤]، يعني: قدوة، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] يعني: إماماً يقتدى به. وبذلك أمر الله جميع الخلق كما قال -تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإبراهيم دعا الناس إلى عبادة الله عز وجل كغيره من النبيين، كل الأنبياء دعوا الناس إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه^(١) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما الشرائع التي هي الأوامر والنواهي والحلال والحرام فهذه تختلف باختلاف الأمم حسب الحاجات، يشرع الله شريعة ثم ينسخها بشريعة أخرى إلى أن جاءت شريعة الإسلام فنسخت جميع الشرائع وبقيت هي إلى أن تقوم الساعة، أما أصل دين الأنبياء - وهو التوحيد - فهو لم ينسخ ولن يُنسخ، دينهم واحد وهو دين الإسلام بمعنى: الإخلاص لله بالتوحيد

أما الشرائع فقد تختلف، وتُنسخ، لكن التوحيد والعقيدة من آدم إلى آخر الأنبياء، كلهم يدعون إلى التوحيد وإلى عبادة الله، وعبادة الله: طاعته في كل

(١) كل العبادات يجب أن تصرف لله عز وجل وحده لا شريك له، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقت بما أمر به من الشرائع، فإذا نسخت صار العمل بالناسخ هو العبادة، والعمل بالمنسوخ ليس عبادة الله^(١).

✍ قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ^(٢)، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَّارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَمَا لَحْدَثَ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَّارَةِ.

(١) على كل توحيد الله عز وجل لم ينسخ، فيجب أن نمثل هذا الأمر العظيم، وهذه الملة إبراهيم وهي عبادة الله، وحده لا شريك له، كما أمرنا الله بذلك، نقوم بذلك حق القيام، حتى نكون من المتبعين، كما أمر الله عز وجل بذلك نبيه عليه الصلاة والسلام أن يتبع ملة إبراهيم وهي الحنيفية، الملة المائلة عن الشرك إلى التوحيد، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

(٢) هنا يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تعالى: [فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته]، تقدم معنا أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ذكر الدليل على ذلك، أن الله جل وعلا خلقنا لعبادته واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذا هو الدليل على أن الله جل وعلا خلقنا لعبادته، قال هنا:

[فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد] وهذا تفريع بناء على الأصل، أنه لما تقرر عندنا أن العبادة هي المقصودة من الوجود، وأن الله خلقنا لعبادته فأرعى على ذلك ببيان العبادة التي أمرنا بها، وأنها لا تستقيم بالتوحيد الذي هو غاية الوجود، فالرجل الذي يصلي لله كذلك المرأة تصلي الله وهكذا يحج لله ويزكي لله، لكن قلبه متعلق بغير الله، في دفع الكربات والشدائد والمصائب هل حقق العبادة؟ الجواب: لم يحققها.

رجل يصلي ويصوم ويحج ولكن قلبه معلق بغير الله، ويستعين ويستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هل حقق العبادة؟

الجواب: لا لم يحقق العبادة، لأن العبادة التي أمرنا الله عز وجل أن نخلص بها إليه، أمر الله عز وجل أن تكون له وحده لا شريك له،

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]

إذن فالعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، [كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة]، الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر، فلو أن إنساناً قام وصلى صلاة من أكمل ما يكون خشوعاً، وحضور القلب وتسبيحاً وقراءة، ولكن لكنه لم يتوضأ، هو خشع في صلاته وقلبه حاضر وقراءته طيبة، ويتدبر في قراءته، لكنه لم يتوضأ. نسي أن يتوضأ فما حكم صلاته؟

الجواب: باطلة، لم تقبل لأنها فقدت شرطاً من شروط الصلاة وهو الطهارة، فكذلك العبادات، إذا فرغت من التوحيد، ولم يكن فيها إخلاص لله، فهي كصلاة المحدث، لا تقبل منه. ولا تنفعه ولا تبرأ بها ذمته منها، إذن فلا بد من الإخلاص، في العبادات لله عز وجل وحده لا شريك له، ولا بد كذلك من متابعة رسول الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت].

والمراد بالشرك هنا الشرك الأكبر، إذا دخل في العبادة أفسدها، أما الشرك الأصغر فإنه يفسد العمل المقارن إذا كان في الصلاة ورأى وعمل من أجل الناس فإنها تفسد عليه صلاته، الشرك الأصغر يفسد العمل المقارن،

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت].

مثلاً رجل يصلي ويزكي ويصوم ويحج بيت الله الحرام، لكنه يدعو غير الله، يدعو الأموات يدعو الجن يدعو الأنبياء يدعو الملائكة، أو يسأل غير الله في تفريج الكربات، هذا وقع منه شرك، في جانب لكنه أفسد وهدم كل ما فعله من الصالحات، لا تنفعه صلاته ولا صيامه ولا حجه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؟ هذا هو الشاهد من الآية: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

الشرح:

قوله: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ) يعني: إذا عرفت من هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأنت من الإنس، داخل في هذه الآية، وعرفت أن الله ما خلقك عبثاً، أو خلقك لتأكل وتشرب فقط، تعيش في هذه الدنيا وتسرح وتمرح، لم يخلقك لهذا، خلقك الله لعبادته، وإنما سخر لك هذه الموجودات من أجل أن تستعين بها على عبادته لأنك لا تستطيع أن تعيش إلا بهذه الأشياء، ولا تتوصل إلى عبادة الله إلا بهذه الأشياء، سخرها الله لك لأجل أن تعبده، ليس من أجل أن تفرح بها وتسرح وتمرح وتفسق وتفجر تأكل وتشرب ما اشتهيت، هذا شأن البهائم، أما الآدميون فالله جل وعلا خالقهم لغاية عظيمة وحكمة عظيمة وهي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، الله ما خلقك لتكتسب له، أن تحترف وتجمع له مالا،

لذلك قال المؤلف: [إذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحديث إذا دخل في الطهارة].
 الحدث سواء الأكبر من جنابة ونحو ذلك أو الأصغر بخروج البول والغائط ونحوهما، إذا دخل في الطهارة فإنه يفسدها، مهما كانت الطهارة جيدة وحسنة، وقد أسبغ فيها الوضوء واعتنى فيها بتكميل السنن بعد فعل الواجبات، إلا أنه إذا أحدث ماذا يقال له؟
 يقال له: أعد الطهارة، فكذلك العبادة إذا دخلها الشرك.
 وعلى هذا فيجب الحذر كل الحذر من الشرك..، بالله عز وجل الأكبر أو الأصغر. وما ذلكم إلا لخطر الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

كما يفعل بنو آدم بعضهم لبعض يجعلون عُملاً لا يجمعون لهم المكاسب، لا، الله غني عن هذا، والله غني عن العالمين، ولهذا قال: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ [الذاريات: ٥٧]، الله - جل وعلا - يُطْعِم ولا يُطْعَم ^(١).

غني عن الطعام، وغني - جل وعلا - بذاته، وليس هو في حاجة إلى عبادتك، لو كفرت ما نقصت ملك الله ^(٢)، ولكن أنت الذي بحاجة إليه، أنت الذي بحاجة إلى العبادة، فمن رحمته: أنه أمرك بعبادته من أجل مصلحتك، لأنك إذا عبدته فإنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يكرمك بالجزاء والثواب، فالعبادة سبب لإكرام الله لك في الدنيا والآخرة، فمن الذي يستفيد من العبادة؟ المستفيد من العبادة هو العابد نفسه ^(٣)، أما الله - جل وعلا - فإنه غني عن خلقه.

(١) يطعم العباد ويرزق العباد ولا يطعم، أحد فرد صمد.. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغْنِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَالْآبَاءُ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤]. قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ أي: وهو الرزاق لخلقِهِ مِنْ غَيْرِ احتِياجٍ إِلَيْهِمْ. اهـ

(٢) قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧]. وقال الله تعالى في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا) أخرجه مسلم رقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٣) أي: الذي يعبد الله هو الذي يستفيد، والذي يعصي الله هو الذي يضر نفسه لا يضر الله عز وجل

قوله: **(فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ).**

إذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فإن العبادة لا تكون صحيحة يرضاها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إلا إذا توفّر فيها شرطان، إذا اختل شرط من الشرطين بطلت:

الشرط الأول: أن تكون خالصة لوجه الله، ليس فيها شرك. فإن خالطها شركٌ بطلت، مثل الطهارة إذا خالطها حدث بطلت، كذلك إذا عبدت الله ثم أشركت به بطلت عبادتك. هذا الشرط الأول. ^(١)

الشرط الثاني: المتابعة للرسول **ﷺ**، فأى عبادة لم يأت بها الرسول فإنها باطلة ومرفوضة، لأنها بدعة وخرافة، ولهذا يقول **ﷺ**: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ^(٢).

وفي رواية «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» ^(٣).

فلا بد أن تكون العبادة موافقة لما جاء به الرسول **ﷺ**، لا باستحسنات الناس ونيّاتهم ومقاصدهم ما دام أنه لم يدل عليها دليل من الشرع فهي بدعة

(١) العبادة لا تقبل إلا بشرطين. الإخلاص.

والثاني: المتابعة، للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

(٢) هذا الحديث في مسلم رقم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة..

(٣) هذا اللفظ أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة.

لفظ (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) متفق عليه ولفظ (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) انفرد به مسلم.

ولا تنفع صاحبها بل تضره لأنها معصية، وإن زعم أنه تقرب بها إلى الله - عز وجل - . فلا بد في العبادة من هذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة للرسول ﷺ حتى تكون العبادة صحيحة نافعة لصاحبها، فإن دخلها شرك بطلت، وإذا صارت مبتدعة ليس عليها دليل فهي باطلة أيضاً، بدون هذين الشرطين لا فائدة من العبادة، لأنها على غير ما شرع الله ﷻ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والله لا يقبل إلا ما شرع في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

فلا هناك أحد من الخلق يجب اتباعه إلا الرسول ﷺ، أما ما عدا الرسول فإنه يتبع ويطاع إذا اتبع الرسول، أما إذا خالف الرسول فلا طاعة، يقول الله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].^(١)

وأولوا الأمر هم: الأمراء والعلماء، فإذا أطاعوا الله وجبت طاعتهم واتباعهم، أما إذا خالفوا أمر الله فإنها لا تجوز طاعتهم ولا اتباعهم فيما خالفوا فيه، لأنه ليس هناك أحد يطاع استقلاً من الخلق إلا رسول الله ﷺ، وما

(١) قال العلامة السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في تفسيره عند هذه الآية : ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتنال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيها.

وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمرُوا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية اه كلامه .

عداه فإنه يطاع ويُتبع إذا أطاع الرسول ﷺ واتبع الرسول، هذه هي العبادة الصحيحة^(١).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].
وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ^(٢).

(١) هذا ما يتعلق بهذه الفقرات العظيمة والتي مضمونها أن الله جل وعلا ما خلقنا إلا من أجل عبادته وأن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد.

كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة ولو كان على أحسن وأكمل الوجوه، نسأل الله جل وعلا أن يجعل أقوالنا وأعمالنا وأفعالنا واعتقادتنا كلها خالصة لوجهه الكريم، إنه جواد كريم.

(٢) أراد الشيخ النجدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى بهذا الكلام أن يبين أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار، ولا سيما الشرك الأكبر، إذا مات الإنسان عليه فإنه من الخالدين في النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فإذا عرف المسلم والمسلمة أن الشرك يفسد العبادة ويحبط العمل ويصير صاحبه من الخالدين في النار، أعادنا الله من ذلك.

يقول المؤلف -: [عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك].

معرفة ذلك المشار إليه ومعرفة المقصود بذلك أي: التوحيد الذي تصح به العبادة، يعني يجب على المسلم والمسلمة أن يتعلم التوحيد، الذي هو أساس الأعمال وأساس العبادات وأساس صلاح العبادات هو توحيد الله، وعبادة الله عز وجل وحده لا شريك له.

قال المؤلف: [لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله].

إذا تعلم المسلم والمسلمة التوحيد، فإن من ثمار التوحيد أن يتخلص العبد من الشرك بالله

. قال: [لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله].

فعبّر أو أخبر المؤلف أن الشرك بالله كالشبكة. وانظر رحمك الله كيف شبهه بالشبكة والشبكة إذا علق بها قدم الإنسان ماذا يكون له؟ وماذا يحصل له؟

الذي يحصل له أنه يسقط، إذا تعلق بالشبكة بالقدم يسقط الإنسان ثم قد يتعلق بجميع بدنه إذا حاول فكها إذا أراد يفك الشبكة تعلق بالبدن كله إذا أراد أن يزيحها بيده يتعلق بها يده ثم إذا حاول باليد الأخرى تعلق بها اليد الأخرى لا يستطيع أن يتخلص إلا أن يشاء الله.

وهذا تمثيل بديع من المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** لشرك بأنه كالشبكة، فإن الإنسان إذا تساهل في سير الشرك أو شك أن يقع في عظيمه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لأصحابه كما في حديث **مُحَمَّدُ بْنُ لَبِيدٍ، (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ)، قَالُوا: (وَمَا الشَّرْكَ إِلَّا صَغُرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ)،** وهو حديث حسن بمجموع طرقه من حديث محمود بن لبيد **رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ**.

أخوف ما أخاف عليكم الخطاب للصحابة، رضي الله عنهم ومن سار على طريقتهم، يجب على الجميع أن يخاف من الشرك بالله، فالصحابة يقول لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أخوف ما أخاف عليكم) مع أنهم الذين كسروا الأصنام وجاهدوا المشركين ومع ذلك يقول لهم: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) فيجب على المؤمن والمؤمنة أن يحذر من الشرك بالله دقيقه وجليله كبيره وصغيره، لذلك من ثمار التوحيد من ثمار تعلم العلم والعقيدة الصحيحة، أن يخلص الإنسان نفسه من شبكة الشرك بالله، فإنه إذا لم يتعلم العلم يقع في هذه الشبكة شبكة الشرك، وقد تقدم أنه من وقع في هذه الشبكة فإنه يسقط، والعياذ بالله ويخسر، قال تعالى: **(حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)** [الحج: ٣١].

قال المؤلف **رَحِمَهُ اللَّهُ**: [لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله -تعالى- فيه:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: ٤٨].

فهذه الآية الكريمة أخبر الله عز وجل فيها أنه لا يغفر الشرك به: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] قال العلماء: "وأن" وما دخلت عليه مؤولة بمصدر تقديره إشراكا به، والنكرة في سياق النفي أو النهي، تفيد العموم هنا في سياق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، لا يغفر الله عز وجل للمشرك وهذا يشمل الشرك الأكبر والأصغر ولذلك استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن الشرك الأصغر لا يغفر. وهذا قول شيخ الإسلام **رحمته الله** وهذا هو الراجح، أن الشرك الأكبر وكذلك الأصغر لا يغفره الله، الشرك الأكبر أيضا لا يغفره الله. وكذلك الشرك الأكبر إذا مات صاحبه عليه، فإنه من الخالدين في نار جهنم أبدا الأبدية، أما الشرك الأصغر إن مات صاحبه عليه فإنه لا يخلد، بل هو مستحق للعقاب والعذاب، فلا يخلد في النار إلا الكفار بالله والمشركون بالله، والمنافقين الاعتقاديين، عافانا الله وسائر المسلمين من ذلك، فيجب إذن الحذر من الشرك بالله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

المشار إليه ما دون الشرك، يعني يغفر ما دون الشرك لمن يغفر لمن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء. فعلق المغفرة فيما دون الشرك بالمشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. قال العلامة ابن عثيمين **رحمته الله** في كتابه القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١١٣) فما بعدها: فالشرك لا يغفره الله أبدا؛ لأنه جناية على حق الله الخاص، وهو التوحيد، أما المعاصي؛ كالزنى والسرقه؛ فقد يكون للإنسان فيها حظ نفس، بما نال من شهوة، أما الشرك؛ فهو اعتداء على حق الله تعالى، وليس للإنسان فيه حظ نفس، وليس شهوة يريد الإنسان أن ينال مراده، ولكنه ظلم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وهل المراد بالشرك هنا الأكبر، أم مطلق الشرك؟ قال بعض العلماء: إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر؛ كالحلف بغير الله، فإن الله لا يغفره، أما بالنسبة لكبائر الذنوب؛ كالسرقه، والخمر؛ فإنها تحت المشيئة، فقد يغفرها الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل، اختلف كلامه في هذه المسألة؛ فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر. وعلى كل حال؛ فيجب الحذر من الشرك مطلقا؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلا فيه الأصغر؛ لأن قوله: "أن يشرك به" أن وما بعدها في تأويل مصدر، تقديره: إشراكا به؛ فهو نكرة في

الشرح:

قوله: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشُّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَخْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ..)، أي: ما دام أنك عرفت التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، يجب أن تعرف ما هو الشرك، لأن الذي لا يعرف الشيء يقع فيه، فلا بد أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنبها، لأن الله حذّر من الشرك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فهذا الشرك الذي هذا خطره، وهو أنه يحرم من الجنة^(١)، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. ويحرم من المغفرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

إذن هذا خطرٌ عظيم، يجب عليك أن تعرفه قبل أي خطر، لأن الشرك ضلّت فيه أفهام وعقول. فالواجب أن نعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، الله ما حذر من شيء إلا وبينه وما أمر بشيء، إلا وبينه للناس، فهو لن يحرم الشرك ويتركه مجملًا، بل بينه في القرآن العظيم وبينه الرسول ﷺ في السنة،

سياق النفي، فتفيد العموم، قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ المراد بالدون هنا: ما هو أقل من الشرك، وليس ما سوى الشرك اهـ

(١) لا سيما الشرك الاكبر.

بياناً شافياً، فإذا أردنا أن نعرف ما هو الشرك^(١) نرجع إلى الكتاب والسنة حتى نعرف الشرك، ولا نرجع إلى قول فلان وفلان، وهذا سيأتي.

(١) أجمع تعريف للشرك ما عرفه به النبي ﷺ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». أخرجه البخاري رقم (٤٤٧٧) ومسلم رقم (٨٦).
وقد أشار إلى هذا التعريف المذكور في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته فقال:

والشرك فاحذره فشرک ظَاهِر	ذَا قَسَمَ لَيْسَ بِقَابِلِ الْغُفْرَانِ
وَهُوَ اتِّخَاذُ النَّدِّ لِلرَّحْمَةِ	مِنْ أَيْكَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانٍ
يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ	وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَةِ الدِّيَّانِ
وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي	خَلْقٍ وَلَا رِزْقٍ وَالْإِحْسَانِ
فَاللَّهُ عَنْدهُمْ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرَّ	زَاقَ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
لِكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي	حُبٍّ وَتَعْظِيمٍ وَفِي إِيمَانٍ
جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمَنِ مَا	جَعَلُوا الْمَحَبَّةَ قَطْ لِلرَّحْمَنِ
كَوَكَّانَ حُبِّهِمْ لِأَجْلِ اللَّهِ مَا	عَادُوا أَحَبَّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ

وهناك تعريف جيد للشرك وهو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله سواء كانت التسوية في الربوبية أم في الألوهية أم في الأسماء والصفات والدليل على أن الشرك هو التسوية قول الله عن أهل النار: ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَصْلَنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٨-٩٩]. وراجع المدخل إلى العقيدة الإسلامية (١٢٥).

القاعدة الأولى

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

القَاعِدَةُ الْأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقَرَّرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ^(١)، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي

(١) الكفار الذين قاتلهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كانوا معترفين [بأن الله هو الخالق المدبر، يعني معترفين بتوحيد الربوبية فقط أما توحيد العبادة فلم يوحداوا الله قال تعالى عنهم: لما أمرهم النبي عليه الصلاة والسلام بإفراد الله بالعبادة وأن الله عز وجل هو المستحق لها وحده لا شريك له قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (ص: ٥).
فلا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية، لا يكفي ولا يدخل الإنسان في الإسلام، فكفار قريش كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ومع ذلك يشركون بالله، لم ينفعهم هذا التوحيد، توحيد الربوبية، لذلك قال المؤلف: [القاعدة الأولى]:

أي: من هذه القواعد الأربع [لا بد أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام].
وهذا فيه بيان حال الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حالهم الإقرار بتوحيد الربوبية، فهم مقرون بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الخالق، ومقرون بأن الله كذلك هو المدبر، مقرون بأن الله هو المالك، مقرون بأن الله هو الرازق، وهذه حال جمهورهم. هذه حال أكثر، الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإن كانت طائفة منهم يقولون: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فهؤلاء هم الدهريون الذين يقولون لن يهلكنا إلا الدهر، فكفار قريش لم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، ولذلك قال المؤلف رحمه الله عليه: [وإن ذلك] أي: إقرارهم بأن الله هو الخالق المدبر فقط لم يدخلهم في الإسلام، وهذا فيه بيان أن الإقرار بتوحيد الربوبية على وجه الإجمال لا يفيد الإنسان دخولا في الإسلام، بل هو باق على الكفر، حتى يقر بأنه لا إله إلا الله، وأنه لا معبود بحق إلا الله وغير الله إن عبد فبباطل.

الإسلام؛ والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] (١).

(١) قال العلامة السعدي **رحمه الله** تعالى في تفسيره: أي: ﴿قُلْ﴾ هؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً - محتجاً عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية - ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟ ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي: من هو الذي خلقهما وهو مالكهما؟، وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضل بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما. ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات.

﴿فَقُلْ﴾ لهم إلزاماً بالحجة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان اهـ

قال أبو عبد الرحمن الحبيشي وفقه الله: على كل هذه الآيات فيها إثبات أن كفار قريش كانوا معترفين بأن الله هو الرزاق، ويعترفون بأن الله هو المالك ولهذا

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ ففيه إثبات الملك، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ففيه إثبات الخلق وفيه أيضاً إثبات البعث بعد الموت لكن هم لا يقرون بالبعث بعد الموت بل ينكرون ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾.

[فهذا فيه إثبات التدبير، وأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو المدبر، فكفار قريش حكى الله عنهم في هذه الآية في

سورة يونس أنهم كانوا إذا سئلوا عن الرزاق والمالك والمحيي المميت والمدبر،

قال الله عنهم: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ هم سيعترفون لكن أبوا أن يوحدوا الله وحده لا شريك له،!!!!

أبوا أن يوحدوا الله وحده لا شريك له فلذلك قال الله لهم: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

الشرح:

(**القاعدة الأولى**): أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ومع ذلك إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم.

فدل على أن التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبية فقط، وأن الشرك ليس هو الشرك في الربوبية فقط، بل ليس هناك أحدٌ أشرك في الربوبية إلا شواذ من الخلق، وإلا فكل الأمم تقر بتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، أو بعبارة أخصر: توحيد الربوبية هو: إفراد الله - تعالى - بأفعاله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فلا أحد من الخلق ادعى أن هناك أحداً يخلق مع الله - تعالى -، أو يرزق مع الله، أو يحيي، أو يميت، بل المشركون مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ [لقمان: ٢٥]،

أفلا تتقون الله وتعبدونه وتوحدونه وتتركون عبادة الأصنام والأوثان فدل هذا على أن الإقرار بهذه الأشياء وحدها فقط لا يكفي في الدخول في الإسلام، وهذه الأمور الأربعة هي أركان توحيد الربوبية، ولا يستقر ولا يستقيم توحيد الربوبية إلا بالأمور الأربعة.

مع إضافة ذكر الإحياء والإماتة. وأن الله يبعث الناس بعد موتهم. فكفار قريش كانوا إذا سئلوا عن هذه الأمور فجوابهم ما ذكره الله بقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.

إذا سئلوا من الرزاق؟ من المالك؟ من الخالق؟ من المميت؟ من المدبر؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، هم يعترفون بتوحيد الربوبية، توحيد الله توحيد الله عز وجل في أفعاله. لكن أبوا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، أن يصرفوا العبادة له. أبوا !!!! فلذلك أنكر الله عليهم، فقال: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، اقرءوا الآيات من آخر سورة المؤمنون تجدون أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وكذلك في سورة يونس: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فهم مقرون بهذا؛ فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية كما يقول ذلك علماء الكلام والنظار في عقائدهم، فإنه يقررون بأن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فيقولون: (واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له^(١)) وهذا هو توحيد الربوبية.

ارجعوا إلى أي كتاب من كتب علماء الكلام تجدوهم لا يخرجون عن توحيد الربوبية، وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده

(١) هذا كلام مجمل مشتمل على حق وباطل فقد يراد به معنى صحيح كما إذا قصد به أن الله سبحانه لا يجوز عليه أن يتفرق بل هو أحد صمد. وقد يراد به نفي صفاته، وحينئذ فهم إنما يقصدون تعطيل حقائق أسائه وصفاته التي هي من لوازم ذاته المقدسة زاعمين أن ذلك من التوحيد. وبما ذكر ينكشف زيغهم ويتضح باطلهم، فإن هذه المعاني التي تتناولها عباراتهم فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ وفيها ما يخالفه. وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول بل التوحيد الذي جاء به أمر يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، ومقاتلتهم هذه هي الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل فلو أقر الإنسان بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما تنزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدًا حتى يقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، والإله بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق راجع التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (٢/): فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ).

لا ينفع صاحبه، لأن هذا أقرّ به المشركون وصناديد الكفرة، ولم يخرجهم من الكفر، ولم يدخلهم في الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب، فالذي عليه الآن بعض المثقفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا يتطرقون إلى توحيد الألوهية، وهذا غلط عظيم في مسمّى التوحيد.

وأما الشرك فيقولون: (هو أن تعتقد أن أحداً يخلق مع الله أو يرزق مع الله)، نقول: هذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، ما قالوا: إن أحداً يخلق مع الله، ويرزق مع الله، بل هم مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت^(١).



(١) هذا هو التعليق على القاعدة الأولى واستفدنا أن الإقرار في توحيد الربوبية لا يكفي فقط في الدخول في الإسلام بل لابد من أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

القاعدة الثانية

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

القاعدةُ الثانيةُ:

أَتَمُّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَرُ: ٣].^(١)

(١) هذه القاعدة الثانية من القواعد الأربع، وفيها بيان ما يحتاج به أهل الشرك على شركهم. وهذه الحجة متكررة، أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربى والشفاعة، يحتجون بقولهم: هؤلاء أولياء الله، أنت نقول لهم: هذا شرك بالله عز وجل ما يجوز لك أن تشرك بالله أن تصرف الذبح لغير الله أو الدعاء أو النذر أو أي عبادة من العبادات التي لا تصرف إلا لله جل وعلا، ولا يجوز أن تصرفها لغير الله جل جلاله فيقول لك هؤلاء أولياء الله هؤلاء نرجو أن يقربونا إلى الله، أو هؤلاء نرجو شفاعتهم يوم القيامة.

فهذان البابان هما أعظم الأبواب التي ولج منها أهل الشرك إلى شركهم، طلب القربة ممن تصرف له العبادة من دون الله والأمر الثاني الشفاعة، دخل هؤلاء المشركون من هذين البابين، يقولون نحن نصرف هؤلاء العبادة من أجل القربة كما تقدم. يقولون هكذا

وأيضاً يقولون من أجل الشفاعة يشفعون لنا يوم القيامة لذلك صرفوا لهم العبادة من دون الله وكما أبان الله عنهم في هذه الآية التي في سورة الزمر، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمَرُ: ٣] هم يعبدونهم من دون الله عز وجل، يعبدونهم ويريدون بذلك القربة، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمَرُ: ٣]، ولذلك قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ -: القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة

والشفاعة فدلّل القربة قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

يعني يصرفون هؤلاء العبادة بأنواعها، اتخذوا أولياء من دون الله يصرفون لهم العبادة. ويعبدونهم، من دون الله : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

يطلبون منهم المدد والنصر ويخافون منهم كخوفهم من الله أو أشد ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، فهم لا يسمون ما يفعلونه من العبادات شركا.

يقولون عبادة نصرها هؤلاء من أجل أن يقربونا إلى الله، يصرفون العبادة من أجل أنهم يتقربون ويتوجهون بهم إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، وهذا هو الشرك بعينه، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]. زُلْفَى أي: منزلة، ومكانة، فهم لا يفعلون ذلك إلا لطلب الخطوة والمكانة عند الله، لكنهم وقعوا في الشرك الأكبر المخرج من الملة، لأنهم صرفوا العبادة لغير الله، لكن بحجة وشبهة القربى، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، هؤلاء المشركون عندهم شبه في شركهم يقول لك هؤلاء أولياء الله نعبدهم نصر ف لهم العبادة من أجل أنهم يقربون إلى الله،

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** :- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: من هذه الدعاوي الكاذبة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وهذا فيه النعي على هؤلاء والأخبار بكذبهم في دعواهم، وأنهم ما يعبدونهم إلا لأجل طلب القربة من الله، لأن الذي يطلب القرب إلى الله عز وجل لا يتقرب إليه بما يبغضه وبما يكرهه، بل أشد ما يبغضه الله عز وجل الكفر والشرك.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

هذا هو الباب الأول الذي ولج منه أهل الشرك، طلب القربة يعبدون الأولياء من دون الله عز وجل يعبدون غير الله، بحجة أنهم يقربونهم إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**.

فرد الله عز وجل دعواهم، وأن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

ثم الأمر الثاني والشبهة الثانية كما سيأتي:

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

الشرح:

(القاعدة الثانية): أن المشركين الذين ساءهم الله مشركين وحكم عليهم بالخلود في النار، لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في الألوهية، فهم لا يقولون إن آلهتهم تخلق وترزق مع الله، وأنهم ينفعون أو يضرّون أو يدبرون مع الله، وإنما اتخذوهم شفعاء^(١)، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ هم معترفون بهذا إنهم لا ينفعون ولا يضرّون، وإنما

أنهم أيضا من أجل الشفاعة، يصرفون العبادة لغير الله عز وجل من الأموات والجن والملائكة والأنبياء والأصنام والأوثان، من أجل أنهم يشفعون لهم يوم القيامة، فلذلك قال المؤلف -: [دليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

يصرفون العبادة لغير الله من أجل أنهم يريدون منهم الشفاعة عند الله أي : هؤلاء الذين يشفعون لنا عند الله فيرفعون منازلنا ويتقذروننا من النار ويدخلوننا الجنة، وما إلى ذلك من أوهام وظنون كاذبة، فإن الأمر بيد الله يفعل ما يشاء حتى الشافع لا يشفع إلا بإذن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وحتى المشفوع لا يشفع له إلا أن يرضى عز وجل عنه، فالآن هذه هي الشبهة الثانية من شبه المشركين، أوقعهم في الشرك وعبادة غير الله عز وجل أنهم يريدون منهم الشفاعة عند الله.

فالله يقول عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

(١) أي وسائط.

اتخذوهم شفعاء، يعني: وُسطاء عند الله في قضاء حوائجهم، يذبحون لهم، وينذرون لهم، لا لأنهم يخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضررون في اعتقادهم، وإنما لأنهم يتوسطون لهم عند الله^(١)، ويشفعون عند الله، هذه عقيدة المشركين.

وأنت لما تناقش الآن قبورياً من القبوريين يقول هذه المقالة سواءً بسواء، يقول: أنا أدري أن هذا الولي أو هذا الرجل الصالح لا يضر ولا ينفع، ولكن هو رجل صالح وأريد منه الشفاعة لي عند الله^(٢).

والشفاعة فيها حق وفيها باطل، الشفاعة، التي هي حق وصحيحة هي ما توفر فيها شرطان^(٣):

(١) يجعلونهم وسطاء وشفعاء.

(٢) يعبدونه من أجل أن يشفع له، الآن وقع في الشرك عبده من دون الله نسأل الله تعالى العافية.

(٣) شروط قبول الشفاعة أربعة وهي:

١ - إذن الله للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢ - رضى الله عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقد جمع الله هذين الشرطين في قوله - تعالى -: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

٣ - إسلام المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [غافر: ١٨]، ويستثنى من ذلك شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب، فهذه خاصة بالرسول ﷺ من حيث الشافع، خاصة بأبي طالب من حيث المشفوع له، ثم إن هذه الشفاعة لم تنفع أبا طالب في الخروج من النار، إنما تنفعه في تخفيف العذاب عنه.

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أي: من عصاة الموحدين.

فإن اختل شرط من الشرطين فالشفاعة باطلة، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهم عصاة الموحدين، أما الكفار والمشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

فهؤلاء سمعوا بالشفاعة ولا عرفوا معناها، وراحوا يطلبونها من هؤلاء بدون إذن الله عز وجل، بل طلبوها لمن هو مشرك بالله لا تنفعه شفاعة الشافعين، فهؤلاء يجهلون معنى الشفاعة الحقّة والشفاعة الباطلة.

٤ - قدرة الشافع على الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

**وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنَفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثَبَّتَةٌ^(١).
فَالشَّفَاعَةُ الْمَنَفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ^(٢)؛**

(١) الشفاعة الشريكية: هي التي تطلب من غير الله، أما الشفاعة المثبتة فهي الشفاعة لأهل التوحيد الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لما سئل قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» أخرجه البخاري رقم (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. الآن الشفاعة المثبتة هؤلاء وهم أهل التوحيد أما المنفية فهي الشفاعة الشريكية.

(٢) فما طلب من غير الله عز وجل من الشفاعات فإنها شفاعات منفية. فالذي يقول يا رسول الله أو يا علي أو يا حسين أو يا فلان هؤلاء كلهم سألوا الشفاعة من غير الله. وطلب الشفاعة من غير الله شرك.

وهو نظير ما كان عليه أهل الجاهلية وأهل الشرك، يطلبون الشفاعة من غير الله، فالشفاعة تطلب من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وبشروطها المعروفة كما سيأتي معنا إن شاء الله؛ فأما الشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ -: (فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ) هذا قيد مهم، فهناك شفاعات جائزة فيما يقدر عليه الإنسان من الشفاعات كأن يطلب من أحد من الناس أن يشفع له عند صاحب عمل أو منصب، أو أي شيء من أمور الدنيا ليحقق له نفعاً أو يدفع عنه ضرراً، فهذا ليس من الشفاعة الشريكية، بل هو من الشفاعات الجائزة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا»، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ. أخرجه البخاري رقم (١٤٣٢) ومسلم رقم: (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الشفاعة جائزة تشفع لفلان عند فلان من أجل أن يعينه بشيء من المال أو من أجل علاج من أجل أي شيء من أمور الدنيا هذا جائز، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ أَي: مَنْ سَعَى فِي أَمْرٍ، فَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ خَيْرٌ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ^(١).

الشرح:

الشفاعة لها شروط ولها قيود، ليست مطلقة.

ذَلِكَ: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ أي: يَكُونُ عَلَيْهِ وَزْرٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي تَرْتَبُ عَلَى سَعْيِهِ وَنَيْتِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ». اهـ

وأصل الشفاعة هي التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة. واستدل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى الشفاعة المنفية بالآية المذكورة.

(١) هذا نداء للمؤمنين، وإذا رأيت الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فارح لها سمعك، كما قال ابن مسعود رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإِنَّه خير تؤمر به أو شر تحذر منه»، فهنا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً﴾ [البقرة: ٢٥٤]، فنفى الله بهذه الآية كل أسباب النجاة والخلاص من العقوبة، ما في هناك بيع ولا شراء ولا خلة، فقال الله عز وجل: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فلا يفتدي الإنسان نفسه، يعني بالبيع ولا بالمال، ولا خلة أي: ليس له حبيب ولا قريب يلتجئ إليه فيخلصه من عذاب الله، ولا شفاعة أي شفيع يشفع له، فينجيه من عقوبة الله، هذه هي الشفاعة المنفية الشفاعة الشريكية، ما في شفاعة شفاعة شريكية؛ يطلب من غير الله عز وجل أن يشفع له.

الشفاعة الشريكية تكون بغير إذن الله!!!!

الله ما أذن لذلك الشافع أو تكون في أمر لم يرضه الله لم يرض الله عز وجل تلك الآلهة أن تعبد من دونه سبحانه، فلهذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فالشفاعة شفاعتان: شفاعته نفاها الله -جل وعلا-، وهي الشفاعاة بغير إذنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فلا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه، وأفضل الخلق وخاتم النبيين محمد **ﷺ** إذا أراد أن يشفع لأهل الموقف يوم القيامة ^(١) يخرج ساجداً بين يدي ربه ويدعوه ويحمده ويثني عليه، ولا يزال ساجداً حتى يُقال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ: وَقُلْ يُسْمِعْ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ» ^(٢)، فلا يشفع إلا بعد الإذن ^(٣).

(١) وهي الشفاعاة العظمى، حيث يشفع في أهل الموقف إلى الله ليقضي بينهم، بعد أن تطلب الشفاعاة من آدم فنوح وإبراهيم فموسى فعيسى عليهم الصلاة والسلام فلا يشفعون، حتى تنتهي إلى النبي **ﷺ** فيشفع فيقبل الله منه وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله بقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وهذه الشفاعاة خاصة بالنبي **ﷺ**.

(٢) هذه الجملة قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري رقم (٧٥١٠) ومسلم رقم (١٩٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أي: بعد أن يأذن الله له، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ.
وَالشَّافِعُ مُكْرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمُشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ
الْإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرح:

والشفاعة المثبتة هي التي تكون لأهل التوحيد، فالمشرك لا تنفعه شفاعة،
والذي يقدم القرابين للقبور والندور للقبور هذا مشرك لا تنفعه شفاعة.
وخلاصة القول: أن الشفاعة المنفية هي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب
لمشرك.، والشفاعة المثبتة هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد^(١).

(☆☆☆)

(١) هذا هو الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية، المنفية هي -: التي تطلب بإذن الله أو تطلب لمشرك.
المشرك ما تنفعه الشفاعة، ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].
أما الشفاعة المثبتة التي تكون بعد إذن الله ولأهل التوحيد. لعصاة الموحدين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

القاعدة الثالثة

القاعدة الثالثة^(١):

(١) خلاصة هذه القاعدة الثالثة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يرضى أن يشرك به، ولا يرضى الكفر ولا يرضى المعاصي. بغض النظر عن المُشْرِك به، فإنه لم يرتض جل وعلا الشرك سواء كان المُشْرِك به، ملكاً أو نبياً أو ولياً صالحاً أو جنّاً أو شجراً أو حجراً أو غير ذلك، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حرم الشرك، وأبان سبحانه بأنه ظلم عظيم، على اختلاف أنواعه وصوره، ولذلك يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ -: (والقاعدة الثالثة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم)، يعني كل واحد من المشركين يعبد شيئاً فليسوا مجتمعين على عبادة واحدة. بل هم طرائق قددا. متفرقين في عباداتهم، كما قال المؤلف -: [منهم من يعبد الملائكة. ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم أيضاً من يعبد هذه جميعاً، يعبد الملائكة والأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار، والشمس والقمر، ومع هذا قال المؤلف "وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم جميعاً ولم يفرق بينهم، لم يفرق بين هؤلاء المشركين. لم يفرق بين الذي يعبد الملائكة، أو بين من يعبد الأنبياء والصالحين والأحجار والأشجار، لم يقل لم يضر ذلك وليس بشرك بل قاتل الجميع. ولم يرض الشرك بجميع صورته وأنواعه، فإن الملائكة خلق من خلق الله وهكذا الأنبياء والصالحين وغير ذلك من المعبودات، فلا يجوز عبادة الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين ولا الأحجار ولا الأشجار ولا الشمس ولا القمر، ما يجوز عبادتها ولا عبادة غيرها، العبادة حق محض لله جل وعلا: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

فملخص هذه القاعدة أن النبي عليه الصلاة والسلام حارب الشرك بجميع صورته، بغض النظر عن المعبودات فإنه قاتل الذين يعبدون الملائكة، كما قاتل الذين يعبدون الأحجار والأصنام والأشجار، ولم يفرق بين هذا وذاك بل سوى بينهم في ثبوت حكم الكفر، وفي مقاتلتهم حتى يتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان والشرك لا فرق بين أن يكون الشرك بنبي أو ملك أو صالح وبين أن يكون بغير ذلك، مما

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أَنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

الشرح:

(القاعدة الثالثة): أن النبي ﷺ بعث إلى أناس من المشركين، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين.

وهذا من قبح الشرك أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحدين فإن معبودهم واحد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** : ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ [يوسف ٣٩-٤٠].

فمن سلبيات الشرك وأباطيله: أن أهله متفرقون في عباداتهم لا يجمعهم ضابط لأنهم لا يسيرون على أصل، وإنما يسيرون على أهوائهم ودعايات المضللين، فتكثر تفرقاتهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ

يقع فيه الشرك، ولذلك قال المؤلف -: (وقاتلهم رسول الله)، أي: قاتل المشركين جميعاً، "ولم يفرق بينهم". لم يقل هذا يعبد الملائكة ما أقاتله أو هذا يعبد الأنبياء ما أقاتله وهذا يعبد الأحجار ما أقاتله. لم يفرق بينهم، المشرك مشرك. بغض النظر عن المعبودات التي عبدت من دون الله عز وجل!!!!!!

وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾
[الزُّمَر: ٢٩].

فالذي يعبد الله وحده مثل المملوك الذي يملكه شخص واحد يرتاح معه، يعرف مقاصده ويعرف مطالبه ويرتاح معه، لكن المشرك مثل الذي له عدة مالكين، ما يدري من يُرضي منهم، كل واحد له هوى، وكل واحد له طلب، وكل واحد له رغبة، كل واحد يريد أن يأتي عنده، ولهذا قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ [الزُّمَر: ٢٩] يعني: يملكه عدة أشخاص، لا يدري من يرضي منهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ مالكة شخص واحد، هذا يرتاح معه، هذا مثل ضرب الله للمشرك وللموحد.

فالمشركون متفرقون في عباداتهم، والنبي ﷺ قاتلهم ولم يفرق بينهم، قاتل الوثنيين، وقاتل اليهود والنصارى، وقاتل المجوس، قاتل جميع المشركين، وقاتل الذين يعبدون الملائكة، والذين يعبدون الأولياء الصالحين، لم يفرق بينهم.

فهذا فيه ردّ على الذين يقولون: الذي يعبد الصنم ليس مثل الذي يعبد رجلاً صالحاً وملكاً من الملائكة، لأن هؤلاء يعبدون أحجاراً وأشجاراً، ويعبدون جمادات، أما الذي يعبد رجلاً صالحاً وولياً من أولياء الله ليس مثل

الذي يعبد الأصنام^(١)، ويريدون بذلك أن الذي يعبد القبور الآن يختلف عن الذي يعبد الأصنام، فلا يكفر، ولا يُعتبر عمله هذا شركاً، ولا يجوز قتاله.

فنقول: الرسول لم يفرّق بينهم^(٢)، بل اعتبرهم مشركين كلهم، واستحل دماءهم وأموالهم، ولم يفرق بينهم، والذين يعبدون المسيح، والمسيح رسول الله، ومع هذا قاتلهم، واليهود يعبدون عزيزاً، وهو من أنبيائهم، أو من صالحهم، قاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرّق بينهم، فالشرك لا تفريق فيه بين من يعبد رجلاً صالحاً أو يعبد صنماً أو حجراً أو شجراً، لأن الشرك هو: عبادة غير الله كائناً من كان، ولهذا يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النهي تعم كل شيء، تعم كل من أشرك مع الله عَزَّ وَجَلَّ من الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار.

(١) هذه شبهتهم يقول القبوريون: إن أولئك كانوا يعبدون الأصنام والأحجار.

أما الآن فالذي يعبد القبور يختلف حكمه، يقولون ما يكفر ولا يعتبر عمله شرك، وهذا الكلام منهم باطل، غير صحيح، فالشرك لا تفريق فيه بين من يعبد رجلاً صالحاً أو يعبد صنماً أو حجراً أو شجراً، لأن الشرك هو: عبادة غير الله كائناً من كان.

(٢) ذكر المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ، الدليل على أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يفرق بين هؤلاء الذين عبدوا غير الله سواء عبدوا الملائكة أو الأنبياء أو الشمس أو القمر أو الأشجار أو الأحجار ذكر الدليل على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

الشرح:

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ ..)، أي: الدليل على قتال المشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم؛ قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، وهذا عام لكل المشركين، لم يستثن أحداً، ثم قال: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾^(١) والفتنة: الشرك، أي: لا يوجد شرك، وهذا عام؛ أي شرك، سواء الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس أو بالقمر.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ : تكون العبادة كلها لله^(٢)، ليس فيها شركة لأحد كائناً من كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالشياطين، أو غيرهم.

(١) ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي : لا يكون شرك سواء كان هذا الشرك في الأولياء أو الصالحين أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالشمس أو بالقمر أو بالأصنام أو بنحو ذلك..

(٢) فالعبادة حق محض لله جل وعلا وحده لا شريك له لا يجوز أن يصرف منها شيئاً لغير الله..

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ: **رَحِمَهُ اللهُ**

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(١)؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧].

الشرح:

دل على أن هناك من يسجد للشمس والقمر، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها^(٢)؛ سداً للذريعة، لأن هناك من يسجد للشمس عند طلوعها ويسجد لها عند غروبها، فنهينا أن نصلي في هذين الوقتين

(١) أي ودليل أن الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن منهم من كان يعبد الشمس والقمر ويسجد للشمس والقمر من دون الله فالصابئة يعظمون الشمس والقمر والكواكب كانوا يسجدون لها ويتذللون لها ويدعونها وينسبون لها أنواعاً من التأثير أن هذه الكواكب تؤثر في الكون ومن ذلك نسبة المطر إليها كما جاء في حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: قال الله تعالى: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرَّأٌ بِتَوَّءٍ كَذَا أَيْ: بِنَجْمٍ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِمُؤْمِنٍ بِالْكَوْكَبِ» أو كما قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كما ذكر المؤلف (بعث إلى أناس متفرقين في عباداتهم فمنهم من كان يعبد الشمس والقمر).

والدليل هذه الآية: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧]، أي: لا تعبدوها من دون الله ولا تسجدوا لها، ولا تصرف لها العبادة من دون الله.

(٢) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَحَرَّى أَحَدُكُمْ، فَيُصَلِّيَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا عِنْدَ غُرُوبِهَا».

أخرجه البخاري رقم (٥٨٥) ومسلم في رقم (٨٢٨).

فالصلاة عند طلوع الشمس، وهكذا عند غروبها محرمة، لأنه حين ذاك يسجد لها الكفار، وهكذا تطلع بين قرني شيطان، فهي النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها.

وإن كانت الصلاة لله، لكن لما كان في الصلاة في هذا الوقت مشابهة لفعل المشركين مُنِع من ذلك سداً للذريعة التي تُفضي إلى الشرك، والرسول ﷺ جاء بالنهاي عن الشرك وسد ذرائعه المفضية إليه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] ^(١).

الشرح:

قوله: (ودليل الملائكة.. إلخ)، دل على أن هناك من عبد الملائكة والنبيين، وأن ذلك شرك. وعَبَاد القبور اليوم يقولون: الذي يعبد الملائكة والنبيين والصالحين ليس بكافر ^(١).

(١) أي: ودليل الملائكة أي: ودليل أن المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان من يعبد الملائكة والدليل هذه الآية وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ الملائكة تقول سبحانه: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]. وهنا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

الله ما أمرنا بذلك؛ أن نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، جمع رب فهى الله سبحانه، أن يتخذ هؤلاء أرباباً، بأن يعبدوا من دون الله، أو ينسب إليهم شيء مما يختص به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من الخلق أو الملك أو الرزق أو التدبير.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ (٢)؛

(١) هذا القول منهم باطل غير صحيح، بل هو كافر من كان يعبد الملائكة أو النبيين أو الصالحين، فهذا كافر لأن العبادة حق محض لله والشرك أعظم الظلم وأعظم الذنوب: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقال الله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]. وهكذا هذه الآية المذكورة هنا: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

فدل على أن عبادة غير الله كفر، فال علامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾، وهذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبيين وغيرهم: ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، هذا ما لا يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد مَنَ الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً وكفراً وخيماً.

(٢) (ودليل الأنبياء) أي: على أن النبي عليه الصلاة والسلام بعث وكان من الناس من يعبد الأنبياء، وهذا شرك بالله عز وجل واستدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى عن عيسى وأنه يخاطبه يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. هذا سؤال من رب العالمين لعيسى يوم القيامة: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ﴾ أي: معبودين من دون الله، والله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك، وإنما يسأل هذا السؤال لتكذيب الذين عبدوا عيسى عليه السلام وأمه، وليبين ضلالهم ومخالفتهم لما جاء به عيسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿قَالَ﴾ أي: عن عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ فنزه الله جل وعلا أن يكون معه شريك، فإن تنزيه الله عن أن يكون له شريك في ما يجب له، كما أنه يُنَزَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن النقص في أسائه وصفاته، وفيما يجب له من الكمال، فالتنزيه في هذا وفي هذا.. ثم قال الله عنه: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ فدل على أن الدعوة إلى عبادة غير الله عز وجل أنها ليست بحق دعوة باطلة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

[المائدة: ١١٦].

الشرح:

وقوله: (**وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ...** إلخ -) هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام.

ففيه ردّ على من فرّق في ذلك من عباد القبور.

فهذا فيه رد على هؤلاء الذين يقولون: إن الشرك عبادة الأصنام، ولا يسوّى عندهم بين من عبد الأصنام وبين من عبد ولياً أو رجلاً صالحاً، وينكرون التسوية بين هؤلاء، ويزعمون أن الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط، وهذا من المغالطة الواضحة من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن الله -جل وعلا- في القرآن أنكر على الجميع، وأمر بقتال

الجميع ^(١).

وهنا عيسى يقول: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

(١) أي أمر بقتال جميع من يصرف العبادة لغير الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾

[البقرة: ١٩٣].

الناحية الثانية^(١): أن النبي ﷺ لم يفرّق بين عابدٍ صنمٍ وعابدٍ ملكٍ أو رجلٍ صالحٍ.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ^(٢)؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

الشرح:

(١) هذا القول أن الشرك فقط هو عبادة الأصنام أما عبادة الملائكة والنبين والصالحين ليس بشرك هذا قول باطل، من ناحيتين كما ذكر العلامة الفوزان حفظه الله الناحية الأولى : أن الله أنكر على جميع المشركين أنكر الله عليهم وأمر بقتالهم. الثانية: أن النبي ﷺ، لم يفرق بينهم، بين عابد الصنم أو عابد الملك أو عابد النبي، أو عابد الرجل الصالح، الكل سواء في الشرك.

(٢) قوله: ودليل الصالحين أي: والدليل على أن عبادة الصالحين كانت موجودة على زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الدليل على ذلك هذه الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: الذين يدعونهم من الصالحين الذين صرفوا لهم أنواع العبادة من دون الله، هم أنفسهم: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: القربة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. إذن فكيف تعبدونهم من دون الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: ثم أخبر أيضا أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله وابتغاء الوسيلة إليه فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ من الأنبياء والصالحين والملائكة: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبدلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب.

(وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ) يعني: ودليل أن هناك من عبد الصالحين من البشر: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قيل: نزلت هذه الآية فيمن يعبد المسيح وأمه وعزيراً^(١)، فأخبر سبحانه: المسيح وأمه مريم، وعزيراً كلهم عباداً لله، يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادٌ محتاجون إلى الله مفتقرون إليه يدعونه ويتوسلون إليه بالطاعة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني: القرب منه - سبحانه - بطاعته وعبادته، فدل على أنهم لا يصلحون للعبادة لأنهم بشرٌ محتاجون فقراء، يدعون الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ومن كان كذلك لا يصلح أن يُعبد مع الله عز وجل -.

والقول الثاني: أنها نزلت في أناس من المشركين كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجن ولم يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم بإسلامهم^(٢)،

(١) قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: وَقَالَ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قَالَ: عِيسَى وَأُمُّهُ، وَعُزَيْرٌ. وهذا وإسناده ضعيف منقطع: أبو صالح هو باذام مولى أم هانئ ضعيف كما في "التقريب"، وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه. والسُّدِّيُّ فيه ضعف، ولذلك لم يذكر سبب هذا النزول شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح المسند من أسباب النزول.

(٢) أخرج مسلم (٣٠٣٠) من طريق أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] قَالَ: «كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يُعْبَدُونَ، فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يُعْبَدُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ». قال شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ

وصاروا يتقربون إلى الله بالطاعة والضراعة ويرجون رحمته ويخافون عذابه،
فهم عباد محتاجون فقراء لا يصلحون للعبادة.

وأياً كان المراد بالآية الكريمة فإنها تدل على أنه لا يجوز عبادة الصالحين،
سواءً كانوا من الأنبياء والصديقين، أو من الأولياء والصالحين، فلا تجوز
عبادتهم، لأن الكل عباد لله فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع الله -جل وعلا.

والوسيلة معناها: الطاعة والقرب، فهي في اللغة: الشيء الذي يوصل إلى
المقصود، فالذي يوصل إلى رضى الله وجنته هو الوسيلة إلى الله، هذه هي
الوسيلة المشروعة في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ^(١)﴾ [المائدة: ٣٥].

أما المخرفون المخرفون فيقولون: الوسيلة: أن تجعل بينك وبين الله واسطة
من الأولياء والصالحين والأموات، تجعلهم واسطة بينك وبين الله ليقربوك إلى
الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] فمعنى الوسيلة عند
هؤلاء المخرفين: أن تجعل بينك وبين الله واسطة تُعرِّف الله بك وتنقل له

في الصحيح المسند من أسباب النزول ص(١٢٨): الحديث أصله في البخاري لكن ليس فيه التصريح
بالنزول وهو في البخاري في التفسير (ج ١٠ ص ١٣)، وأخرجه ابن جرير (ج ١٥ ص ١٠٤ و ١٠٥)،
وأخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٣٦٢)، وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. وفيه فأنزل عز وجل:
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ﴾ وذكر الآيتين إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾.
(١) أي القربة.

حاجاتك وتخبره عنك، كأن الله -جَلَّ وَعَلَا- لا يعلم، أو كأن الله -جَلَّ وَعَلَا- بخيلاً لا يعطي إلا بعد أن يلح عليه بالوسائط ^(١) -تعالى الله عما يقولون-.
ولهذا يشبهون على الناس ويقولون الله جل وعلا يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فدل على أن اتخاذ الوسائط من الخلق إلى الله أمرٌ مشروع لأن الله أثنى على أهله، وفي الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ^(٢).

(١) شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى له رسالة بعنوان: "الواسطة بين الحق والخلق"، و من الله علينا بتحقيقها قبل تقريباً ثلاثة عشر سنة وهي رسالة مطبوعة طبعة دار الآثار.
ويبين فيها أنواعاً من الوسائط، الوسائط الشريكية وهكذا الوسائط الشرعية.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ فيها ص(٢٤): وإن أثبتتم وسائط بين الله وبين خلقه. كالحجاب الذين بين الملك ورعيته. بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم، أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادا. اهـ

(٢) هذا هو المقصود بهذه الآية الكريمة: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].
أي: القربى والطاعة.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يسخطه الله، من معاصي القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه. ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القرب منه، والخطوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل.

[المائدة: ٣٥]، قالوا: إن الله أمرنا أن نتخذ الوسيلة إليه، والوسيلة معناها: الوساطة، هكذا يجرفون الكلم عن مواضعه، فالوسيلة المشروعة في القرآن وفي السنة هي: الطاعة التي تقرب إلى الله، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذه هي الوسيلة المشروعة، أما التوسل بالمخلوقين إلى الله فهو وسيلة ممنوعة، ووسيلة شركية، وهي التي اتخذها المشركون من قبل: **﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** [يونس: ١٨]، **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾** [الزمر: ٣]، هذه هو شرك الأولين والآخرين سواء بسواء، وإن سموه

والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها [يها] ويستجيب الله له الدعاء، ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد، لأن هذا النوع من أجل الطاعات وأفضل القربات.

ولأن من قام به، فهو على القيام بغيره أخرى وأولى: **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾** إذا اتقيتم الله بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته. والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم انتهى كلامه.

ومن رام المزيد في هذا الباب فليراجع كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "التوسل والوسيلة" فهو كتاب طيب وماتع في بابه.

وسيلة فهو الشرك بعينه، وليس هو الوسيلة التي شرعها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لأن الله لم يجعل الشرك وسيلة إليه أبداً^(١).

وإنما الشرك مبعد عن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فكيف يُجعل الشرك وسيلة إلى الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -

الشاهد من الآية: أن فيها دليلاً على أن هناك من المشركين من يعبد الصالحين، لأن الله بين ذلك، وبين أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم عبادٌ فقراء: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، يعني: يتقربون إليه بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ يتسابقون إلى الله - جل وعلا - بالعبادة لفقرهم إلى الله وحاجتهم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ومن كان كذلك فإنه لا يصلح أن يكون إلهاً يُدعى ويُعبد مع الله عز وجل -.

(١) الشرك بالله والكفر وسائر المعاصي والمحرمات الله لم يجعلها وسيلة إليه، إنما حذر الله عز وجل العباد منها من الشرك فما دونه من الذنوب والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(١) [النجم: ١٩-٢٠].

الشرح:

قوله: (وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ.. إلخ). في هذه الآية دليل أن هناك من يعبد الأحجار والأشجار من المشركين.

فقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ هذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿اللَّات﴾ -بتخفيف التاء-: اسم صنم في الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيت مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة، وحوله ساحة، وعنده سدنة^(٢)، كانوا يعبدونها من دون الله - عز وجل، وهي لثقيف وما والاها من

(١) قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ تعالى في تفسيره: لما ذكر تعالى ما جاء به محمد ﷺ من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وآباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا "الللات" من "الإله" المستحق للعبادة، و"العزى" من "العزیز" و"مناة" من "المنان" إلحاداً في أسماء الله وتجرياً على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.

(٢) السدنة الخدام الذين كانوا حول ذلك الصنم أو تلك الصخرة.

القبائل، يفاخرون بها، وقُرئ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ -بتشديد التاء- اسم فاعل من (لَتَّ يُلْتُ)، وهو: رجل صالح كان يلت السويق ويُطعمه للحجاج، فلما مات بنوا على قبره بيتاً^(١)، وأرخو عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله عز وجل، هذا هو اللات.^(٢)

﴿وَالْعُزَّى﴾ : شجرات من السَّلم في وادي نخلة بين مكة والطائف، حولها بناء وستائر، وعندها سدنة، فيها شياطين يكلمون الناس، ويظن الجهال أن الذي يكلمهم هو نفس هذه الشجرات أو هذا البيت الذي بنوه^(٣) مع أن الذي

(١) روى البخاري رقم (٤٨٥٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾: «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يُلْتُ سَوْيَقَ الْحَاجِّ».

(٢) الخلاصة أن الجمهور قرأوا بتخفيف التاء اللات: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾، وهو اسم صنم؛ وقرأ ابن عباس ومجاهد وحيد وأبو صالح ورويس ويعقوب بتشديد التاء ويكون المعنى أن اللات رجل صالح كان يلت السويق ويطعمه للحجاج، فلما مات بنوا على قبره بيتا يعبدونه من دون الله عز وجل، وعلى كلا الحالين فهؤلاء كانوا يعبدون غير الله سواء هذا الصنم الذي من الأحجار أو هذا الرجل الصالح. والكل شرك بالله عز وجل.

(٣) العزى اسم صنم، أو على ما قال الشيخ الفوزان شجرات في وادي نخلة حولها بناء وستائر وعندها سدنة وبها شياطين يكلمون الناس، وكان الكفار يتفاخرون بها والعياذ بالله حتى إنه يوم أحد كان أبو سفيان عند أن كان كافرا يقول: (إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَى لَكُمْ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُحْيِيوُا لَهُ؟»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مُؤَلَّاتًا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»، أخرجه البخاري رقم (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

والحاصل أن الله ينكر على هؤلاء المشركين الذين عبدوا معه غيره، فقال عز من قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ

تكلّمهم هي الشياطين لتضلّهم عن سبيل الله، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكة ومن حولهم.

﴿وَمَنَاةٌ﴾: صخرة كبيرة في مكان يقع قريباً من جبل قديد، بين مكة والمدينة، وكانت لحزاعة والأوس والخزرج، وكانوا يُحرمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله، فهذه الأصنام الثلاث هي أكبر أصنام العرب.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ -

[٢٠].

هل أغتكم شيئاً؟ هل نفعتمكم؟ هل نصرتكم؟، هل كانت تخلق وترزق وتحيي وتميت؟، ماذا وجدتم فيها؟، هذا من باب الإنكار وتنبيه العقول إلى أن ترجع إلى رشدّها، فهذه إنّما هي صخرات وشجرات ليس فيها نفع ولا ضرر مخلوقة.

ولما جاء الله بالإسلام وفتح رسول الله ﷺ مكة المشرفة أرسل المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب إلى (اللات) في الطائف فهدهما بأمر رسول الله ﷺ، وأرسل خالد بن الوليد إلى العزى فهدهما ^(٢) وقطع الأشجار وقتل

(١) إرسال المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب لهدم اللات ذكره هذا ابن هشام في السيرة ولم يسنده وإنما ذكره عن ابن إسحاق بدون سند فالله أعلم.

(٢) الذي هدم العزى خالد بن الوليد رضي الله عنه هذا صحيح ثابت عنه، فقد روى النسائي في الكبرى رقم (١١٥٤٧) وأبو يعلى رقم (٩٠٢) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ، فَقَطَعَ

الجنية التي كانت فيها تخاطب الناس وتضلهم ومحاهها عن آخرها -والحمد لله-
، وأرسل علي بن أبي طالب إلى (مناة) فهدمها ومحاه^(١).

وما أنقذت نفسها، فكيف تُنقذ أهلها وعبادها ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ *
وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم ١٩-٢٠].

أين ذهبت؟ هل نفعتمكم؟، هل منعت نفسها من جنود الله وجيوش
الموحدين؟

فهذا فيه دليل على أن هناك من يعبد الأشجار والأحجار، بل إن هذه
الأصنام الثلاثة كانت هي أكبر أصنامهم ومع هذا محاهها الله من الوجود، وما
دفعت عن نفسها ولا نفعت أهلها فقد غزاها رسول الله ﷺ وقتلهم ولم
تمنعهم أصنامهم، فهذا فيه ما استدلل له الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن هناك من يعبد
الأحجار والأشجار.

السَّمُرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ازْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ
شَيْئًا»، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَجَبَتْهَا، أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عَزَى يَا
عُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُزَيَّانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ
حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى».

(١) أما كون علي هو الذي هدم مناة فقد ذكر هذا ابن إسحاق في المغازي بدون إسناد كما في تفسير ابن
كثير عنده هذه الآية المذكورة من سورة النجم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾، وذكر
الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في "البداية والنهاية" (١٤٢/٧) أن الذي هدمها هو سعيد بن زيد الأشهلي
ذكره كذلك بدون سند، فالله أعلم بذلك.

يا سبحان الله! بشر عقلاء يعبدون الأشجار والأحجار الجامدة التي ليس فيها عقول وليس فيها حركة ولا حياة، أين عقول البشر؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَدِيثُ أَبِي وَقَدِّ اللَّيْثِيِّ ^(١) -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ..)، الْحَدِيثُ ^(٢).

(١) أبو واقد الليثي هو الحارث بن عوف، وقيل: ابن مالك، وقيل اسمه: عوف بن الحارث، صحابي مات سنة (٦٨) وله (٨٥) سنة.

(٢) (صحيح)، أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨/٥)، وعبد الرزاق (٣٦٩/١١)، والطيالسي (١٤٤٣)، والطبراني في الكبير (ج ٣/رقم ٣٢٩١)، وابن حبان (٦٧٠٢) وفي سنده سنان بن أبي سنان الديلمي المدني روى عنه جمع ولم يوثقه سوى ابن حبان والعجلي والذهبي وابن خلفون. وقال الحافظ في التقریب ثقة، ورمز بأن البخاري ومسلماً أخرجا له، فمثله صحيح الحديث؛ ولهذا أخرج له شيخنا الوادعي في الصحيح المسند: (٢٥٣/١) وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٢٣٥/٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في القول المفيد (٢٠١/١): قوله: "حدثاء": جمع حديث، أي: أننا قريبو عهد بكفر، وإنما ذكر ذلك رضي الله عنه للاعتذار لطلبهم وسؤالهم، ولو قر الإيهان في قلوبهم لم يسألوا هذا السؤال.

قوله: (يعكفون عندها): أي: يقيمون عليها، والعكوف: ملازمة الشيء، ومنه قوله تعالى: (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ).

قوله: "ينوطون": أي: يعلقون بها أسلحتهم تبركا.

الشرح:

عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان ممن أسلم عام الفتح على المشهور سنة ثمان من الهجرة.

وقوله: يقال لها: (ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، والأنواط جمع نوط وهو: التعليق، أي: ذات تعاليق، يعلّقون بها أسلحتهم للتبرك بها، فقال بعض الصحابة الذين أسلموا قريباً ولم يعرفوا التوحيد تماماً: (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ

قوله: "يقال: لها ذات أنواط": أي: أنها تلقب بهذا اللقب لأنه تناط فيها الأسلحة، وتعلق عليها رجاء بركتها، فالصحابه رضي الله عنهم قالوا للنبي ﷺ "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"؟ أي: سدره نعلق أسلحتنا عليها تبركا بها، فقال النبي ﷺ "الله أكبر"، كبر تعظيما لهذا الطلب، أي: استعظاما له، وتعجبا لا فرحابه، كيف يقولون هذا القول؟ وهم آمنوا بأنه لا إله إلا الله؟! لكن: "إنها السنن" أي: الطرق التي يسلكها العباد.

قوله: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ}، أي: إن الرسول ﷺ قاس ما قاله الصحابة رضي الله عنهم على ما قاله بنو إسرائيل لموسى حين قالوا: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فأنتم طلبتم ذات أنواط كما أن هؤلاء المشركين ذات أنواط.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده" المراد أن نفسه بيد الله، لا من جهة إمامتها وإحيائها فحسب، بل من جهة تدبيرها وتصريفها أيضا، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

قوله: "لتركن سنن من كان قبلكم" أي: لتفعلن مثل فعلهم، ولتقولن مثل قولهم، وهذه الجملة لا يراد بها الإقرار، وإنما يراد بها التحذير، لأنه من المعلوم أن سنن من كان قبلنا مما جرى تشبيهه سنن ضالة، حيث طلبوا آلهة مع الله، فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يحذر أمته أن تترك سنن من كان قبلها من الضلال والغي.

والشاهد من هذا الحديث قولهم: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" فأنكر عليهم النبي ﷺ انتهى كلامه.

أنواط، وهذه بليّة التقليد والتشبه؛ وهي من أعظم البلايا، فعند ذلك تعجّب النبي ﷺ وقال: «الله أكبر!، الله أكبر!، الله أكبر!»، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء أو استنكر ^(١) شيئاً فإنه يكبر أو يقول: "سبحان الله" ^(٢) ويكرر ذلك.

«إنها السنن» أي: الطرق التي يسلكها الناس ويقتدي بعضهم ببعض، فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتباع سنن الأولين، والتشبه بالمشرّكين. فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتباع سنن الأولين والتشبه بالمشرّكين. يعني النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم استغرب على هؤلاء الصحابة الذين هم حدثاء عهد بكفر، وأرادوا أن يجعل لهم شجرة من شجرة المشرّكين ويعلقون بها أسلحتهم.

قوله: قاتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

(١) يعني النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم استغرب من هؤلاء الصحابة الذين هم حدثاء عهد بكفر، وأرادوا أن يجعل لهم شجرة من شجر المشرّكين ويعلقون بها أسلحتهم..

(٢) الدليل على أن النبي ﷺ كان يقول: سبحان الله عند التعجب ما جاء في البخاري رقم (٢٨٥) ومسلم رقم (٣٧١) من حديث أبي هريرة قال: لَقِيتَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ، فَأَنْسَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَأَعْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرٍ»، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَبَا هُرَيْرٍ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ». وأيضاً ما رواه البخاري رقم (١١٥) من حديث أم سلمة، قالت: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيْقَظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحَجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ».

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما تجاوز البحر ببني إسرائيل وأغرق الله عدوهم فيه وهم ينظرون، مروا على أناس يعكفون على أصنام لهم من المشركين، فقال هؤلاء لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنكر عليهم وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّ مَا هُمْ فِيهِ﴾ يعني: باطل: ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنه شرك، ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]، أنكر عليهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما أن نبينا محمداً ﷺ أنكر على هؤلاء، ولكن هؤلاء وهؤلاء لم يشركوا، فبنوا إسرائيل لما قالوا هذه المقالة لم يشركوا لأنهم لم يفعلوا، وكذلك هؤلاء الصحابة لو اتخذوا ذات أنواط لأشركوا ولكن الله حماهم، لما نهاهم نبيهم انتهوا، وقالوا هذه المقالة عن جهل، ما قالوها عن تعمّد، فلما علموا أنها شرك انتهوا ولم ينفذوا، ولو نفذوا لأشركوا بالله عز وجل^(١).

فالشاهد من الآية: أن هناك من يعبد الأشجار، لأن هؤلاء المشركين اتخذوا ذات أنواط،^(٢) وحاول هؤلاء الصحابة الذين لم يتمكن العلم من قلوبهم حاولوا أن يتشبهوا بهم لولا أن الله حماهم برسوله ﷺ.

(١) لم ينفذوا هذا المطلب، وأرادوا يعتقدوا في الشجرة أو بتركوا بالشجرة..

(٢) أي: هذه الشجرة التي يعلقون بها أسلحتهم ويطلبون منها النصر من دون الله.

الشاهد: أن هناك من يتبرك بالأشجار ويعكف عندها، والعكوف معناه: البقاء عندها مدة تقرباً إليها. فالعكوف هو: البقاء في المكان.

فدل هذا على مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: خطر الجهل بالتوحيد، فإن من كان يجهل التوحيد حريّ أن يقع في الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يجب تعلّم التوحيد، وتعلم ما يضاده من الشرك حتى يكون الإنسان على بصيرة لئلا يؤتى من جهله، لا سيما إذا رأى من يفعل ذلك فيحسبه حقاً بسبب جهله، ففيه: خطر الجهل، لا سيما في أمور العقيدة.

ثانياً: في الحديث خطر التشبه بالمشرّكين، وأنه قد يؤدّي إلى الشرك، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١)، فلا يجوز التشبه بالمشرّكين.

(١) هذا حديث عبد الله بن عمر أخرجه أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٥٠/٢)، قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٩، ٢٣٦) إسناده جيد. وحسنه الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** في صحيح أبي داود، وشيخنا الإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى** فيما استفدناه من دروسه النافعة، وحسنه كذلك شيخنا يحيى بن علي الحجوري حفظه الله فيما استفدناه من دروسه النافعة.

المسألة الثالثة: أن التبرك بالأحجار والأشجار والأبنية شرك وإن سُمي بغير اسمه، لأنه طلب البركة من غير الله من الأحجار والأشجار والقبور والأضرحة، وهذا شرك وإن سموه بغير اسم الشرك^(١).

(☆☆☆)

(١) قال الإمام محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه : تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ص(٦٥):
 فإن قلت: أفصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟
 قلت: نعم! قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووه في ذلك، بل زادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم.
 فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له ندًّا، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركاً! قلت: نعم! ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإنَّ تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شركٌ، والله تعالى يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: لا لغيره، كما يفيدُه تقديم الظرف، ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وقد عرفت بما قدَّمناه قريباً أنَّه ﷺ قد سمى الرياء شركاً، فكيف بما ذكرناه؟!
 فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً، لأنَّ فعلهم أكذب قولهم انتهى

القاعدة الرابعة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ:

القاعدةُ الرَّابِعَةُ^(١): أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًَا مِنَ الْأَوَّلِينَ، لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشَّدَةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَةِ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ

(١) هذه القاعدة الرابعة، خلاصتها أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تكلم فيها عن مشركي زمانه، وهم الذين كانوا في القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر. فقال -: "إن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين" من مشركي قريش مع أن الكل مشركين، هؤلاء الذين أشركوا مؤخرا وأولئك، مع بعض الفوارق اليسيرة ولكنه يقول: المتأخرون أغلظ من الأولين ثم بين وجه غلظ مشركي هؤلاء المتأخرين فقال: "لأن الأولين يشركون في الرخاء".

أي: في وقت الرخاء والسعة يشركون بالله، ويعبدون مع الله غيره، ويخلصون في الشدة، المشركون الأوائل كانوا يخلصون في الشدة، إذا ركبوا في الفلك مثلا كما ذكر الله عنهم، أو إذا أصابتهم شدة يخلصون لله.

أما مشركو زماننا فشرکهم دائم في الرخاء والشدة، في الرخاء وهو يشرك بالله وفي الشدة وهو يشرك بالله، قال والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أي: ركبوا في البحر المشركون إذا ركبوا في البحر وهو من آيات الله العظيمة: ﴿دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، يخلصون لله في الدعاء ولم يصرفوا الدعاء إلا لله عز وجل وحده، والله يستجيب دعوتهم لأنهم أخلصوا في دعائهم مع أنهم مشركين كفرة، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، هنا حصلت المفاجأة، لما نجاهم الله إلى البر وحصلت لهم السلامة، والأمن والأمان، رجعوا إلى الشرك: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ولهذا قال العلامة الفوزان حفظه الله: فإذا كان لا يخلص من الشدائد إلا الله -جل وعلا- فكيف يدعى غيره في الرخاء.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿العنكبوت: ٦٥﴾، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

(القاعدة الرابعة — وهي الأخيرة-) : أن مشركي زماننا أعظم شركاً من
الأولين الذي بعث إليهم رسول الله ﷺ.

والسبب في ذلك واضح: أن الله — جل وعلا — أخبر أن المشركين الأولين
يخلصون لله إذا اشتد بهم الأمر، فلا يدعون غير الله عز وجل لعلمهم أنه لا
ينقذ من الشدائد إلا الله كما قال — تعالى —: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ
مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ الْيَمِّ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾
[الإسراء: ٦٧]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، يعني: مخلصين له الدعاء، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾
[العنكبوت: ٦٥]، فالأولون يشركون في الرخاء، يدعون الأصنام والأحجار
والأشجار.

أما إذا وقعوا في شدة وأشرفوا على الهلاك فإنهم لا يدعون صنماً ولا شجراً
ولا حجراً ولا أي مخلوق، وإنما يدعون الله وحده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإذا كان لا
يخلص من الشدائد إلا الله — جل وعلا — فكيف يُدعى غيره في الرخاء.

أما مشركو هذا الزمان يعني: المتأخرين الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمة المحمدية فإن شركهم دائم في الرخاء والشدة، لا يُخلصون لله ولا في حالة الشدة، بل كلما اشتد بهم الأمر اشتد شركهم ونداؤهم للحسن والحسين وعبد القادر^(١) والرفاعي^(٢) وغير ذلك،

(١) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الكيلاني أو الجيلاني، صوفي تنسب إليه الطريقة القادرية، ولد بكيلان سنة (٤٧٠ هـ) ودخل بغداد، فسمع الحديث وتفقه، توفي سنة (٥٦١ هـ)، انظر: طبقات الأولياء (ص ٢٤٦)، شذرات الذهب (٤/١٩٨)، معجم المؤلفين.

(٢) هو أحمد بن علي بن أبي الحسين الرفاعي الحسيني، مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في العراق سنة (١٢ هـ) بعد موت أبيه، فرباه خاله، وتفقه بواسط وتصوف، فانظم إليه خلق كثير لهم في اعتقاد مبالغ فيه، توفي بقرية أم عبيدة (بين واسط والبصرة) سنة (٥٧٨ هـ). انظر سير أعلام النبلاء (٧٧٩٢١) وفيه مولده سنة (٥٠٠ هـ)، ومعجم المؤلفين.

و ترجمه ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في البداية والنهاية (١٦/٥٥٩) طبعة هجر.

أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي، شيخ الطائفة الأحمدية والرفاعية البطائحية لسكناء أم عبيدة من قرى البطائح وهي بين البصرة وواسط، كان أصله من العرب فسكن هذه البلاد، والتف عليه خلق كثير، ويقال: إنه حفظ "التنبية" في الفقه. وقد ذكرته في طبقات الشافعية.

قال ابن خلكان: ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول في التناير وهي تضطرم، فيطفئونها، ويقال: إنهم في بلادهم يركبون الأسود. قال: وليس للشيخ أحمد عقب، وإنما النسل لأخيه، وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد. وقال: ومن شعر الشيخ أحمد، على ما قيل:

إذا جن لي لي هام قلبي بذكركم... أنوح كما نوح الحمام المطوق. انتهى

وقال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في مجموع فتاواه: (١١/٤٩٤): وأما كشف الرءوس وتفتيل الشعر وحمل الحيات: فليس هذا من شعار أحد من الصالحين؛ لا من الصحابة ولا التابعين ولا شيوخ المسلمين لا المتقدمين ولا المتأخرين ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي ولا غيره وإنما ابتدع هذا بعد موت الشيخ أحمد بمدة طويلة ابتدعه طائفة انتسبت إليه فخالفوا طريق المسلمين وخرجوا عن حقائق الدين وفارقوا

هذا شيء معروف^(١)، ويذكر عنهم العجائب في البحار، أنهم إذا اشتد بهم الأمر صاروا يهتفون بأسماء الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم من دون الله عز وجل، لأن دعاة الباطل والضلال يقولون لهم: نحن ننقذكم من البحار، فإذا أصابكم شيء اهتفوا بأسمائنا ونحن ننقذكم، كما يُروى هذا عن مشايخ الطرق الصوفية، واقرأوا -إن شئتم- "طبقات الشعراني"^(٢) ففيها ما تقشعر منه الجلود مما يسميه كرامات الأولياء، وأنهم يُنقذون من البحار، وأنه يمد يده

طريق عباد الله الصالحين وهم نوعان: أهل حال إبليسي. وأهل محال تليسي. انتهى وقال الذهبي في العبر في خبر من خبر (٧٥/٣): وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار الإزراء على نفسه وسلامة الباطن ولكن أصحابه فيهم الجيد والريء وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات. وهذا ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه فنعوذ بالله من الشيطان. انتهى.

(١) هكذا في كل بلدة يدعون ميتا من الأموات فهذا يدعو ابن علوان وهذا يدعو العيدروس وهذا يدعو الهادي وهذا يدعو الحسين وهذا يدعو عبد القادر الجيلاني، نسأل الله العافية والسلامة وهذا كله شرك بالله.

(٢) كتاب طبقات الشعراني مؤلفه: عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد الشعراني المتوفى سنة (٩٧٣هـ) ويسمى أيضا "لوائح الأنوار في طبقات الأخيار" وهو المعروف باسم "طبقات الشعراني الكبرى". وهو كما قال الشيخ الفوزان حفظه الله فيه ما تقشعر منه الجلود مما يسميه كرامات الأولياء. اهـ
نعم جمع في كتابه هذا كل فسق الصوفية وخرافاتا وزندقتها فيجعل كل المجانين والمجاذيب واللوطية والشاذين جنسيا والذين يأتون البهائم عيانا وجهارا في الطرقات يجعل كل أولئك أولياء وينظمهم في سلك العارفين وأرباب الكرامات فهو كتاب يجب الحذر منه ومن مؤلفه الذي خلط فيه بين الطهر والنجاسة والشرك والتوحيد والهدى بالضلال والإيمان بالزندقة ويلبس فيه على الناس دينهم، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

إلى البحر ويحمل المركب كله ويُخرجه إلى البر ولا تتنّدى أكمّاه، إلى غير ذلك من ثُرّهاتهم وخرافاتهم، فشرّكهم دائم في الرخاء والشدة، فهم أغلظ من المشركين الأولين.

وأيضاً -كما قال الشيخ في "كشف الشبهات"^(١): من وجه آخر: (أن يعبدون أناساً صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أناساً من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، فالذين يسمونهم الأقطاب^(٢) والأغواث لا يصلون، ولا يصومون ولا يتنزهون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنما هذا للعوام فقط. وهم يعترفون أن سادتهم لا يصلون ولا

(١) كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (١٦٩-١٧٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كما في مجموع الفتاوى (١١/٤٣٣-٤٣٤): "أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامّة مثل "الغوث" الذي بمكة، و"الأوتاد الأربعة"، و"الأقطاب السبعة"، و"الأبدال الأربعين"، و"النجباء الثلاثمائة"، فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال. فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: "إن فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال الأربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً". ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف، كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولا عاماً، إنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ، وقد قالها إما أثرها عن غيره أو ذاكرها "أه". والخلاصة أن خرافة الأقطاب والأغواث هذه من دواهي الصوفية التي رمتها على الإسلام، فهم يزعمون أن لهم يداً في تدبير تصارييف الكون ومقادير الخلق، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

يصومون، وأنهم لا يتورعون عن فاحشة ومع هذا يعبدونهم بل يعبدون أناسا من أفجر الناس كالحلاج^(١)، وابن عربي^(٢)، والرفاعي،

(١) ترجمه الذهبي في السير (٣١٣/١٤) فقال: هو: الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله - ويقال:

أبو مغيث - الفارسي، البيضاوي، الصوفي.

والبيضاء: مدينة ببلاد فارس، وكان جده محمي مجوسيا. إلى قوله.. وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايع والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبته إلى الحلول، ومنهم من نسبته إلى الزندقة، وإلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال نسأل الله العصمة في الدين انتهى.

وقال في ميزان الاعتدال (٥٤٨/١): الحسين بن منصور الحلّاج المقتول على الزندقة.

ما روى والله الحمد شيئا من العلم، وكانت له بداية جيدة وتأله وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق.

أباح العلماء دمه، فقتل سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وقال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في مجموع فتاواه: (٤٨٠/٢): من اعتقد ما يعتقده الحلّاج من المقالات التي قتل الحلّاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين؛ فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد كقوله: أنا الله. وقوله: إله في السماء وإله في الأرض. وقد علم بالاضرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله وأن الله خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] الآيتين، فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله: كان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح ابن مريم فمن قال بالحلول والاتحاد في غير المسيح - كما تقوله الغالية في علي وكما تقوله الخلاجية في الحلّاج والحاكمية في الحاكم وأمثال هؤلاء - فقولهم شر من قول النصارى لأن المسيح ابن مريم أفضل من هؤلاء كلهم انتهى بتصرف وللمزيد راجع البداية والنهاية (١٣٢/١١ - ١٤٤) وتاريخ بغداد: (٨/١١٢/١٤١).

(٢) هو الصوفي الجلد محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي، الحاتمي، الطائي، الأندلسي وينتهي نسبه

إلى حاتم الطائي، أحد مشاهير الصوفية، ترجمه الذهبي في السير (٤٨/٢٣) فما بعدها فقال: وكان ذكيا،

كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهد وتفرّد، وتعبّد وتوحد، وسافر وتجرّد، وأتهم وأنجد، وعمل الخلوات، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة. ومن أردأ تواليفه كتاب (الفصوص)، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله!

وقد عظمه جماعة، وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات، وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا، أنه سمع الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يقول عن ابن العربي: شيخ سوء، كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يجرم فرجا، قلت: إن كان محبي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت، فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز... وله شعر رائق، وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل إلا كتاب (الفصوص)!

وقرأت بخط ابن رافع: أنه رأى بخط فتح الدين اليعمري: أنه سمع ابن دقيق العيد يقول: سمعت الشيخ عز الدين، وجرى ذكر ابن العربي الطائي فقال: هو شيخ سوء مقبوح كذاب انتهى. وقال أيضاً: هو شيخ سوء كذاب: فقلت له: وكذاب أيضاً؟ قال: نعم، تذاكرنا بدمشق التزويج بالجن، فقال: هذا محال، لأن الإنس جسم كثيف والجن روح لطيف، ولن يعلق الجسم الكثيف الروح اللطيف.

ثم بعد قليل رأيته وبه شجة، فقال: تزوجت جنية فرزقت منها ثلاثة أولاد، فاتفق يوماً أنى أغضبته فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة، وانصرفت، فلم أرها بعد هذا... انتهى من لسان الميزان (٦٥٩/٢).

وقال الحافظ ابن حجر سألت شيخنا سراج الدين البلقيني عن ابن عربي؟ فبادر بالجواب هو كافر كما في لسان الميزان (٣١٨/٤) وغير ذلك من أقوال العلماء فيه وإنما كفره العلماء لعدة أسباب والتي منها:

١ - قوله بوحدة الوجود والتي فصلها هذا الخبيث في كتابه الفصوص وقد نشرها وفرقها في موسوعته الكبيرة المكية والتي تقع في أربعة مجلدات كبار بدأها في مقدمته.

بقوله: ولما حيرتني هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للحقيقة

الرب حق وَالْعَبْدُ حق... يَا كَيْتَ شعري من المُكَلَّف

إِنْ قَلْتَ عبد فَذَاكَ نفي... أَوْ قَلْتَ رب أَنى يُكَلَّف

والبدوي^(١)، وغيرهم).

وقد ساق الشيخ الدليل على أن المشركين المتأخرين أعظم وأغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يخلصون في الشدة ويشركون في الرخاء، فاستدل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(☆☆☆)

وهو القائل: إن الله لا ينزه عن شيء لأن كل شيء هو عينه وذاته، وأن من نزهه عن الموجودات قد جهل الله ولم يعرفه أي جهل ذاته ونفسه. اهـ

وغیر ذلك من الألفاظ الموجودة في كتابه الفصوص (٨٦) وقال في الموسوعة الميسرة (٢٥٩/١): محيي الدين ابن عربي: الملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠-٦٣٨هـ) رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعتبر نفسه خاتم الأولياء (*)، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها الآن قبر يُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة ما يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى، وأشهر كتبه: روح القدس (*)، وترجمان الأشواق (*). وأبرزها: الفتوحات المكية وفصوص الحكم.

(١) هو أحمد بن علي الحسيني البدوي، صوفي ولد بفاس، وطاف البلاد، وعظم شأنه في مصر، وانتسب إلى جمهور كبير، توفي سنة (٦٧٥هـ) ودفن في طنطا. انظر: معجم المؤلفين ١/٣١٤).

الفهرس

٣	المقدمة
٥	نبذة مختصرة عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ
٥	اسمه وكنيته ولقبه:
٥	مولده:
٥	نشأته ورحلاته
٦	شيوخه:
٦	تلاميذه:
٧	عقيدته:
٧	مذهبه:
٧	شيء من ثناء العلماء عليه:
١٠	مؤلفاته:
١١	وفاته رَحْمَةُ اللَّهِ:
١٢	ترجمة العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله
١٢	قال: اسمه ونسبه ومولده:
١٢	نشأته وتعليمه:
١٣	الدراسات العليا:
١٣	المناصب التي تولاهها وبعض أعماله:
١٤	مشائخه:
١٥	مؤلفاته:
١٧	متن القواعد الأربع

٢١	شرح مقدمة الرسالة
٤٧	القاعدة الأولى:
٥٢	القاعدة الثانية:
٦١	القاعدة الثالثة:
٨٦	القاعدة الرابعة:
٩٤	الفهرس